



سُلَيْمَانُ الْحَيْسِي
مُنَشِدُ الْعُرُوبَةِ وَالْأَطْفَالِ

تَأليف
إيمان يوسف بقايعي

الأعلام من الأدباء والشعراء

سُلَيْمَانُ بْنُ الْحَيَّسِيِّ

مُنَشَّدُ الْعُرُوبَةِ وَالْأَطْفَالِ

تَأليف
إيمان يوسف بقلبي

شبكة كتب الشيعة



دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

ص.ب: ٩٤٢٤/١١ - تلکس: Le 41245 Nasher

هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٢٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٨٥٥٧٣

فناكس: ٤٧٨١٣٧٣/١٢١٢ - ٦٠٢١٢٣/٩٦١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بقلم، الدكتور رفيق عطوي

بين الشعر والثورة، علاقة ودٌ تُفَرِّقُ الأصالة من وَهَجِ المعاناة.
وشاعرنا سليمان العيسى، عاشق حُرِّيَّة، وفارس غُرْبَة، وشاعر أمة.
في شعره بعض ذاته، هذه الذات المتوثِّبة أبداً نحو اليَقِيْنَة، يحمل
آلام الأمة، والآمال. لا يهدأ، لا يلهو، لا ينثر أحلاماً فوق مساحات
العُيُس، أو ضمن الجدليات البراغمية الغارقة، حتماً، في لعبة انحراف
الوجود العربي نحو التهميش.

عرفت سليمان العيسى، جناناً، وأنا بعد في عهد الطلب، حيث
الأمة من المحيط إلى الخليج تشهد بزوغ فجرها القومي الصحيح.
فكان شعره نبزاً أضواء تالقنا الثوري حينذاك.

وعرفت سليمان العيسى عياناً منذ عامين، في صنعاء. وتحديدًا في
مكتب الأخ الدكتور عبد العزيز المقالح، مدير جامعة صنعاء.
لقد أذهلتني المفاجأة!

دخلت مكتب الدكتور المقالح، فإذا به جانب رجل مجلَّل بالوقار،
قد نَيَّفَ على السبعين، وعلى محياه ابتسامة مستمرة. فخالجني شعور
شديد بمعرفة هذا الرجل. وكأني بالدكتور المقالح قد أدرك بذكائه

المعهود، حقيقة مشاعري، فابتسم وقال لي: إنه سليمان العيسى،
الشاعر العربي الكبير.. وقدمني إليه.

تسُرت عيناى فى الرجل للمحظّات.. تَرَدَّدَتْ خلالها فى خاطري
أصداء قول شاعرنا:

شمس العروبة إن تطيقى الظلم بعد اليوم، غيبي
غيبي. منصنع للذنّى شمساً تضيء بلا غروب..

ثم دار حديث عن لبنان بكل أحزانه وأحلامه... والشاعران المقالـح
والعيسى بحبّان لبنان وبقدّران دوره الثقافى والحضارى فى دنيا العرب
والعالم.

وما دام الحديث عن سليمان العيسى الإنسان والشاعر، فلن يغيب
عن بالى ذلك النّبأ الغرب الذى حمل الى العالم استشهاد سليمان العيسى
خلال أحداث مدينة حلب، إثر انفصال الوحدة بين مصر وسوريا، وضياـع
حلم عربى كبير. فانبرى الشعراء يرثون الشاعر العربى الكبير.. ولكن تبين
بعد أيام أن الشاعر العيسى ما زال حيّاً يرزق.. فكان أول شاعر يسمع رثاء
وهو على قيد الحياة. وأذكر فى هذا المجال ما قاله شقيقى الشاعر
الدكتور فوزى عطوي فى رثاء سليمان العيسى:

بدمى، بلوعة، أمتى، بشقائى

بمرويتى، بعقيدتى، بإبائى

باسم الملايين التى ظيفت الى

رقراق شعرك قد نظمت رثائى

غُرَيْدَ أَمْتَا وشاعرَ شمعينا

ماذا تركت لسائر الشعراء..

ولكن غنّى الشاعر سليمان العيسى للأطفال. فالأطفال هم الأمل الطالع، والخير الآتي للأمة. هم حلم الشاعر، يطربهم بالصوت الدافئ، وبالكلمة العليّة. كي لا تفرقهم أفاظ الدهشة والغربة، وعبارات القهر أو الظلمة. علّه يبلغ في مسعاه، توجيه مسار الأطفال نحو القِمة... وحسبي في هذا قول الشاعر في «رمال عطشى»:

يقولون: غَنُّ الهوى والشباب

وما كنتُ بما وطني أجِرُّمُ

نشرهذثُ طفلاً... ولن أرتضي

مصيري لطفلي غداً يُقسَمُ

وبعد،

فإن هذا الكتاب «سليمان العيسى شاعر العروبة والأطفال» للسيدة إيمان بقاعي، يمثل دراسة واعدة، وإضاءة طيبة، وجهداً مباركاً، وتحية وفاء لرجل أعطى العروبة عمره، وشدا ألقانها، وغناها أناشيد النضال، فأغنى بها تاريخنا الأدبي شعراً قومياً ملهماً، عليه من الخلود مطارف لا تبلى.

د. رفيق عطوي

٩٣/١٢/٢٠

سليمان العيسى

«غناء الذكريات»

خَلَفْنَا الْبَيْدَ الْعَطْشَى
وَدَعْنَا الرَّمْلَ الْأَغْبَرَ
وَلَهَاءَ الصَّحْرَاءِ الْحَرَى
وَبَسَاطَ الرَّمْضَاءِ الْأَحْمَرِ
هَاتِي يَا أَيْكَةَ ظَلْمِكَ
مَدِّي يَا شَامُ ذِرَاعَيْكَ
الْفَوْطَةُ أَقْدَاخٌ وَمِدَامُ
وَالْجَنَّةُ عَصْفُورٌ يَا شَامُ
فِي صَدْرِكَ
عَصْفُورٌ أَخْضَرُ
حُلُمٌ يَصْحُو...
حُلُمٌ يَسْكُتُ...
يَا نَهْرَ السَّحْرِ... سَلَامًا
يَا أَرْضَ الْعَطْرِ... سَلَامًا^(١)

(١) سليمان العيسى، ابن الابهيم، الإزار الجريح — شعر ط ١، ١٩٦٦، ص ٢٥.

وللثيرات أجنحة...

وللكليم أجنحة تطير... تطير ويعود النشيد من جديد...

نشيد فيه الكثير من الموسيقى والحب... الحب للقاء! الشام والغوطة
والقلل والأحلام تتألى... الحداة ينشدون. الحداة يواصلون النشيد:

عدنا يا شام من السفر

عدنا بفراشات السحر

بضفائر... كانت للقمر

كانت لصبايا الجان...

زرق كالصخر حسان

خضر كروى بستان

رواة كوثرك الاسمز^(١)

فسقى الدنيا... ومضى يسكره

الجنة عصفور يسكر

في صدرك، عصفور أخضر

يا شام... سلام!

يا أرض المجدي...

سلام!^(٢)

الأمكنة تغني... الجغرافيا تغني... تتحول الجغرافيا ذكريات

(١) إشارة الى نهر بردى.

(٢) سليمان الميسى، ابن الابهام، الإزار الجريح — ص ٢٧-٢٨ .

نابطة... من الشام إلى «التعيرية» البعيدة خمسة عشر ميلاً من مدينة
انطاكية التاريخية، ولِدَ سليمان العيسى...

كانت القرية فقيرة ولكنها كانت جميلة جميلة...
ولا بد وأن جمالها آثر في شاعريته
لا بد وأن جمالها غرس الحروف رنانة في كلماته...
«التعيرية» الولادة...

و«التعيرية» الاقتلاع...
مَنْ يسرق لواء الاسكندرون؟...
مَنْ يسرق الذكريات؟...
هل تسرق الذكريات؟...

«حلّو كالحبّ عتابٌ مني»^(١)
أهلاً بخيالِك... طفلتنا
يا للذكرى... تعلوي الزمان

ونجدد شطراً... من عمري!
أهيام غصّفتنا... في الدنيا
لهباً، ورغائب من جفني

أهيام نصّبنا الجبلُ
والخذُّ الأسمرُ، والغزلُ
ولسالي القرية، والزجلُ

(١) صديقة الشاعر وقد أرسلت له رسالة عتاب من قريتها.

إذ نبدؤها عند العصر!
ويضيع الموكب في عرس
والسكر يضحو من سكر

بالروح... صباهاث نشوى

خفقت بالحب.. كما نهوى

فكانت، بل ما زالت سلوى

لكفاح، ملتهب، مرًا

خضناه في الشوك الدامي

ثورات جراحات حمر

إذن فالذكريات عند الشاعر تبقى سلوى تبلم جراح الأيام

القاسية... تبقى حلاوات من طفولة عذبة.. تبقى تمسح الجراح..

في كل مَظَلٍّ أو درب

أصداء.. من مَرَجٍ عذب

وخيال.. يومئ للصحب

أنني لم أقف على الهجر

عودوا فالقرية بعدكم

قد أرفقها صمتُ القبر

مضت الذكرى... عامًا، عامًا

وبقينا فيها... أنعامًا

قصصًا للحب... وأحلامًا

صحيح أن الذكرى مضت لكن الصغار الذين صاروا كباراً بقوا
أنعاماً فيها وأحلاماً وقصصاً ورغبة في العودة الى الطفولة إلى كل ما
هو جميل وبسيط وصافي...

«سنعود الى النبع الصافي

ونسيرُ مع الراعي الحافي

بأريجِ المعطرِ الهفافي

لن نخطمَ أغلال الشرِّ

سنعود لنبدأ ثورتنا

في كوخ الحطّاب المزري»^(١)

ماذا يريد سليمان العيسى وقصائده تنضح بالذكريات؟ ها هو أيضاً
يعود في الذاكرة إلى زاوية هادئة لأحد اصدقائه في «المقهى الهرم
بدمشق» فتراه يسترجع الذكريات بشكل حيوي رائع وكأنها صورة
متحركة تراها بأف عينيكَ:

«سعيًا للأمس... أنحا الجامِ

وسلام... يا ليلَ الشامِ

إلهام... ذابَ بالهامِ

وكؤوسُ تعبقُ بالحرِّ

وشبابٌ للدنيا ظامي»

ويخاطب صديقه:

(١) قصيدة «الغربة ومنى» كُتبت عام ١٩٥٣ .

«اجلس.. تسبقك» «الترجيلة»

وأبو عدنان^(١) .. فتى حيلة

ولقد تعيبك «التشعيلة»

وترنث «نازك» فاصطبر

فلكل عسير.. تذليله»

ويتابع بروعة وصف صورة الترجيلة ونفثاتها التي تجلو أفكار المتأمل
كما يقول.. يعرف الامر من يدخنها ويعرف الامر من يستوحىها:

«ومع النفثات النّوّارة

يجلو المتأمل أفكاره

ويصافح قلب أسرار»

فإذا هو في لُج الفكر

نغم يتلمس أو تارة»

• • •

وهذه الذكريات حميمة ملحة.. يسرق الشاعر فيها نفسه إليها..
يعيشها.. بل يتمنى أن يعيشها.. ولكن حين لا يفعل.. نراه يرجو صاحبه
أن لا يترك هذا المقهى الهرم.. هذا المقهى الذي يستحق الحب
والوفاء من كل من يرتاده سحماً محتملاً بالألم.. ويرجوه أن يبقى وفيّاً
له فهذا الوفاء هو النور الذي يضيء ظلام الليل:

(١) صاحب المقهى

«لا تبرح» مقهانا» الهيرما!
أهوى فيه حتى السأما
بالمرققي مثلي والضَّجِر
وبمن حُرموا.. إلا الألما

جَدُّ فيه نار «التَّقْصِ»
وبقلبِ المأساة انغمس
إن لم نك نحن سنا القَبْسِ
في هذا الليل المعتكِر
وا لهفا.. للركب التعمس^(١)
رحلة الذكريات لا تنتهي مع شاعرنا.. وكيف تنتهي والاقتلاع
دهن الحياة.. والاقتلاع خنجر مغروس
«الخنجران»^(٢) بصدري
كان نزفهما
عمري.. أحب به طفلاً وأضطغنُ
الخنجران.. وبأفا يتل حارتنا
خلف السلايل.. لا أهل ولا سَكُنْ
بعيدة.. عتباتِ الحلم.. يا وطني

(١) قصيدة الجسر والمقهى الهرم — نظمت عام ١٩٥٤ .

(٢) الإشارة الى لواء الاسكندرون وفلسطين.

صحراء يلهث فيها الفكر والظن

أرتد طفلاً

أدق الصخر منتظراً

صحو الناييع

بيكي قبضتي الوهن^(١)

فالذكريات الحلوة تستعاد..

كذلك الذكريات المريرة..

الجرح لا يُنسى.. كيف ينساه شاعر؟..

لواء الاسكندرون، فلسطين، يافا، حارة الشاعر كلها في الهم
سواء.. كلها في الحزن سواء، الحزن يجلب الحزن. والأسى يبعث
الأسى، لكننا العودة إلى عالم الأحلام المستحيلة أحياناً هي مجرد
عودة بريئة لعالم الطفل الذي يدق الصخر بريد الماء ينبعث من دقته
تلك..

ينتظر انفجار الماء.. انفجار ينبوع.. يدق بعد.. ولكن ها هي
القبضة الصغيرة تتألم.. والصخرة جامدة قاسية والينبوع؟.. أين
الينبوع؟..

يكبر شاعرنا وما زال صغيراً يحمل في جعبته الذكرى

يصير في الخمسين وهو ما زال صغيراً..

(١) قصيدة أمشي وتأنين — أنشدت في مهرجان الشعر الخامس عشر الذي أقامه

اتحاد الأدباء والكتاب العرب بصنعاء في ١٩٨١/١٢/١ .

للوطن يغني كما كان يغني عندما كان طفلاً..
للوطن الكبير يغني كما حاول لأول مرة في قصيدته الأولى
المهداة من «فم العاصي» الى اليمن والخليج والوطن الكبير.. الحلم
الكبير..

الذكريات؟..

«أشدُّ عليك.. في الخمسين.. طفلاً يكبر الالم
وتكبر أنت.. والحلم
على فرميد ضيقتا.. هو الحلم
كأنني ما أزالُ على فم «العاصي» تراتيلاً
أَجْرُبُ أن أدقُّ على المحيط قصيدتي الأولى
وأنشُر نازَ قافيتي على اليمن
وأسمع في الخليج دويَّ أحلامي ويسمعني
أنا العلفُ الذي ما زال يكبرُ فيك محترفاً
فخذ حذقي لأبصرَ فيك، وأكبر في دمي رَقَقاً»^(١)

لنعد قليلاً الى طفولة الشاعر..

جاء في خاتمة الديوان الشعري «كلمات مقاتلة» للشاعر سليمان
الميسى، الصادر عن دار العودة بيروت عام ١٩٦٩ وتحت عنوان
«الشاعر في سطور» ما يلي:

(١) سليمان الميسى - اغان برهشة البرق - قصيدة أقاتل باسمك العريان.

- سليمان أحمد العيسى: ولد عام ١٩٢١ في قرية النعيرية على ضفة نهر العاصي غربي انطاكية..

- كان في مدرسة انطاكية الابتدائية حين اشتعلت الحركة العربية الثورية في لواء الاسكندرون شمالي سوريا دفاعاً عن عروبة هذا الجزء الذي أهده الاستعمار الغربي إلى تركيا عام ١٩٣٧.

- هاجر بعد اغتصاب وطنه الصغير إلى دمشق.

- وأتم دراسته الثانوية في حماة واللاذقية ودمشق. وعرف في هذه الفترة مع رفاقه اللواتيين مرارة التشرد وقيمة الكفاح.

- شارك في تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي وهو طالب ثانوي عام ١٩٤٠.

- طرد من المدرسة ودخل السجن غير مرة لمشاركته في المظاهرات الوطنية واشعاره الملتهبة التي كان يلقيها في الجماهير.

- أنهى دراسته الجامعية في دار المعلمين ببغداد.

- عين مدرّساً للأدب العربي في ثانويات حلب عام ١٩٤٧. وانتقل إلى دمشق مفتشاً أول للغة العربية بوزارة التربية في مطلع ١٩٦٧.

- كانت حياته وما تزال موزعة بين التدريس والشعر والكفاح القومي..

- من مؤلفاته: مع الفجر — شاعر بين الجدران — نائر من غفار — قصائد عربية — صلاة لأرض الثورة — أمواج بلا شاطئ — ديوان

الاطفال — كلمات مقاتلة — أغاني برهشة البرق..

- ونذكر أنه اتجه إلى كتابة شعر الاطفال بعد نكسة حزيران عام

١٩٦٧ وكتب قصة طفولته شعراً ثم كتبها نثراً للاطفال.

الأولى بعنوان: أحكي لكم طفولتي يا صغار.

والثانية بعنوان: وائل يبحث عن وطنه الكبير.

- وفي تشرين الأول من عام ١٩٨٢ حصل على جائزة «لوتس»

للشعر من اتحاد كتاب آسيا وافريقية.

وفي عام ١٩٩٠ انتخب بالإجماع عضواً في مجمع اللغة العربية

بدمشق..

يكبر سليمان العيسى

لكنه يعيش الذكريات

«مضت الذكرى... عاماً عاماً

وبقينا فيها.. أنغاما

قصصاً للحب... وأحلاماً»

يكبر سليمان العيسى

لكنه أبداً يُسمعنا

غناء الذكريات.

ثقافة الشاعر

«كان والدي الشيخ أحمد، رحمه الله أستاذي الأول، بل أستاذ القرية كلها، والقرى المجاورة.

لم يكن في قريتنا مدرسة.

بل لم يكن في الريف كله مدرسة واحدة في تلك الأيام. المدرسة الابتدائية الوحيدة في المدينة، في كتاب الشيخ أحمد، أعني في بيتنا. حفظت القرآن عن ظهر قلب، لأنني كنت أساعد والدي في مذاكرة التلامذة.

فكانت السورة الواحدة من سور القرآن تعاد أمامي من عشرين إلى ثلاثين مرة.

فلا عجب أن ترسخ في الذاكرة آياتها. وأن ترسخ معها بنية العربية وأسسها المتينة في أعماق الطفل الصغير ابن السادسة أو السابعة. وفي «الكتاب» أتقنت الخط، وتعلمت عمليات الحساب الأربع، وحفظتُ الجزء الثاني من مبادئ العربية في الصرف والنحو للمعلم المرحوم رشيد الشرتوني.

ورحْتُ استظهر عشرات القصائد من الشعر العربي قديمه وحديثه.. ومن المعلقات.. إلى شعراء العصر العباسي.. إلى شوقي وحافظ وخليل مطران والرفاعي والزهاوي وبدوي الجبل..

كانت مجلة العرفان التي تصدر في صيدا ومجلة الهلال المعروفة
من بين المجلات القليلة النادرة التي كانت تصل الى قريتنا.
كان الشيخ أحمد يذل قصارى جهده ومعظم ما يدخره من نقود
زهيدة ليأتي ببعض أعداد هاتين المجلتين من المدينة. وما يكاد العدد
من أية مجلة يصل الى البيت حتى نلتهمه التهاماً فلا نترك فيه كلمة
إلا قرأناها وأعدنا قراءتها وحفظنا ما فيها من شعر عن ظهر قلب.
كنت أحب الشعر..

وكيف لا أحبه، وأبي شاعر ينظم قصائده ويكتبها بخط جميل، ثم
يغنيها مساءً عندما تجتمع الأسرة على موقد النار؟..
ولطالما اجتمع عندنا فلاحو القرية وأنشدتهم والذي قصائده إنشاداً
بصوته الرخيم.

فكان ديوان المتنبي، هذا الشاعر العربي الكبير، رفيق طفولتي،
أقرؤه على أبي، وأستظهر كل يوم قصيدة، أو جزءاً من قصيدة منه، ثم
أغني ما أحفظ بصوت حلو رقيق:
أرق على أرق، ومثلي بأرق وجوى يزيد، وعبرة تترقرق
ولم أكن أدرك معنى هذه الكلمات: الأرق، الجوى، العبرة التي
تترقرق، ولكنني كنت أحس إحساساً غامضاً أنني أحفظ شيئاً جميلاً
جداً، وأن الأمة التي ابدعت مثل هذا البيان الرائع لا بد أن تكون أمة
رائعة..^(١)

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر - دراسات وشهادات - تونس ١٩٨٨ -

وفي التاسعة أو العاشرة - لا أذكر أيضاً - بدأت كتابة أولى قصائدي، تحت اشجار التوت والتين في حارة بساتين العاصي وعلى ضفاف نهر العاصي، جاري ورفيقي الذي لا أنساه.

كانت قصائد الطفولة تتحدث عن هموم الفلاحين وبؤسهم وكفاحهم في سبيل اللقمة.

كانت تحمل بذور الثورة على هذا الشقاء الذي لا يعرف أحد كيف حلّ بهؤلاء المساكين ولا يجروُ أحد أن يناقش أسبابه.

كان الطفل الشاعر يهتف ببراءة وهو دون العاشرة:

«ألا أيها الفقراء موتوا

لكم في جنة الفردوس قوْث

لقد بنيت لكم ثَمَّ لبيوْث

وكوثركم بها يجري شهيا»^(١)

وكان للأرسوزي الدور الأكبر في إغناء ثقافة شاعرنا وتوجيهها فاستغرق شاعرنا مع الفيلسوف الألماني فيخته ومع نيتشه و«زرادشته» الذين أشار عليه بهما أستاذه..

وكذلك قرأ الأدب الانكليزي بمساعدة صديقه بدر شاكر السياب الذي أحبه جداً والذي عقد معه صداقة جيدة في بغداد وقد تبادلوا المعلومات، فسليمان يطلع السياب على ملامح الادب الفرنسي

(١) نفسه ص ٢٦٨ .

والسياب على ملامح الشعر في الادب الانكليزي وحين توفي صديقه
السياب رثاه بمرارة...

رثى شعره المضيء «لرحاب البؤس»
رثى كلماته «الحر».. رثى في صديقه القمم التي تخضر وتورق به:
يا شاعر النبوة السمراء بحملها
إلى الخلود جناح ليس ينهزم
غمست قلبك في المأساة فانسكبت
نعمى نضياء رحاب البؤس تنتقم
نحن العطاش.. وتسقي الأرض زفرتنا
وبعد الطيف.. لا شكوى ولا ندم
من شهقة الكلمات الحمر.. من دما
تخضر يا بدر، تحيا.. تورق القمم..

مات بدر.. وما ماتت ذكراه..
مات بدر، وما مات بيرون وشيلي وكيثس وردزروث.
مات بدر، وما مات الشعر المقروء من بنابيعه الانكليزية والفرنسية
والأمريكية.

مات بدر، وما ماتت ذكراه..
نعم! الذكريات عند سليمان العيسى أبداً لا تموت.
هي تحيا في أعماق أعماقه.. في الطفل الكامن فيه..
هي تحيا كي تنشد كل يوم أناشيدها الوضاء..

قضية العروبة

يتحدث شاعرنا في باقة نثر «وائل يبحث عن وطنه» عن كيفية اكتشافه للتاريخ ذلك العلم الهام جداً كي يقرأ الانسان جذوره..
كي ينبش ماضيه، ماضي أجداده، ويعيش إضاعاته، يحاول من خلالها استجلاب المواقف المشرفة.. ربما مقارنتها وربما استمداد النسغ منها..

في بغداد درس شاعرنا التاريخ وعاد إلى كتب التراث: ابن خلدون.. اليعقوبي.. المسعودي.. ابن الاثير.. الطبري.. وعشرات مصادر الكتب.

درس التاريخ بطريقة منهجية علمية...

«وذا صباح» يقول شاعرنا، في «وائل يبحث عن وطنه الكبير»: «وقع في يد وائل كتاب من كتب التاريخ.

يا للمفاجأة الحلوة! لا يذكر عنوان الكتاب بدقة، ولكنه كان بالتأكيد يتحدث عن تاريخ العرب، وأمجادهم القديمة.

أخذ الصغير الكتاب وضّعه الى صدره بحنان وإجلال.

ثم انطلق الى البستان واختار ظل شجرة من اشجار التوت الوارفة الاغصان، وجلس تحتها وأخذ يقرأ.

ساعة.. ساعتان.. ثلاث ساعات..

لم يشعر وائل بالوقت.. ولا أحس شيئاً مما كان يدور حوله. لقد انتصف النهار وما زال غارقاً في الكتاب يقرأ بنهم ولذة. إن أباه وأمه سيفتقدانه إذا تأخر كثيراً، ولكنه لم يهتم لذلك. وتابع القراءة حتى مالت الشمس الى المغيب عندئذ طوى الكتاب وضمه الى صدره كأنه يضم كنزاً صغيراً امتلكه فجأة، وعاد في صمتٍ وشرود.

لم يسأله أحد أين كنت؟..
كان أهله يحبونه ويعرفون شروده وحبه للعزلة أحياناً.
وفي صباح اليوم التالي انطلق وائل بكتابه العزيز الى شجرة التوت،
وواصل القراءة.
وتوالت الايام..

والصغير يقرأ الكتاب ويعيده حتى كاد يحفظه عن ظهر قلب ثم أخذ يجمع رفاقه الصغار في القرية، ويقص عليهم بعض الحوادث والبطولات العربية.^(١)

يقرأ سليمان التاريخ.. يقرأ وائل التاريخ ويقصّه على رفاقه عندما كان صغيراً.. ويقصّه على قرائه عندما صار كبيراً..
لا يقصّ المرء شيئاً لم يتفاعل معه!
أحببت «أبا محجن الثقفي»
أحببت الفارس الضائع..

(١) باقة نثر (وايل) يحث عن وطنه الكبير) ص ١٦-١٧

كُتِبَتْ مسرحيته، أو لمحاته الأربع عشر في أسبوع ورحلت أحدث
اليه..

كأنني اتحدث الى صديق قريب.. قريب..
فكان يعيش معي في كل لحظة، في كل خاطرة.
ثم القيت الدفتر المخلوط..
تركته جانباً يقرؤه الصغار، ويتخذ الكبير نسخةً منه لنفسه.
وفتحت «الأغاني» ^(١) عَرَضاً..
أقلب صفحاته دونما هدفٍ أرمي اليه
كمن يخطر على باله أن يعث بشيء..
بعد عمل مجهود..

ووقفت فجأة أمام هذا العنوان:
«أخبار حسان وجيلة بن الأيهم»
وأخذت أقرأ بدقة.. وعلى مهل
طالعت الفصل كله.. وابتسمت
«ابن الأيهم»

مجنون آخر.. تجربة جديدة..
لعله هو الذي أبحث عنه أيضاً..
سأعيد القراءة..
سأقف عند كل كلمة..

(١) الأغاني لأبي فرج الأصفهاني.

والقصة معروفة، حفظناها ونحن صغار:

جبله بن الابهيم، آخر ملوك الغساسنة في الشام، يعلن إسلامه،
ويذهب الى الحجاز. يرحب به الخليفة عمر بن الخطاب في حرارة،
ثم يصطحبه معه الى الحج. وفي أثناء الطواف حول الكعبة، يدوس
رجل من بني فزارة إزار الملك الغساني، فيغضب، ويرفع يده فيهمش
له أنفه..

ويشكوه الفزاري الى عمر..
فيطلب منه أن يرضي الرجل، أو يُقيدهُ منه..
وكيف يقيده؟..

بأمر بهشم أنفه، كما فعل هو بغيره..^(١)
وها هو عمر بن الخطاب يخاطب الملك كما تصوّر شاعرنا:
«عمر: يا بنَ أبهم!

ليس في قبضتنا إلا سلاح
في يمين الله
لامع حدّاه
اسمه الحقُّ الصراخ
وهو، لو تعلمُ، أمضى
من سيوف الارض، من صولتها،

(١) سليمان العيسى — ابن الابهيم الإزار الجريح — كلمة عابرة ص ٩-١٠ .

طولاً وعرضاً
قد حملناه رسالة
وسللتناه عدالة
فدور التاج، وأبناء السبيل
نحت هذي الدوحة السمحاء
أكفاء، سواء في المقيـل

* * *

يا بن أيهم!
جاءني هذا الصباح
مشهدٌ يبعثُ في النفس المرارة
بدويٌّ من فَرارة^(١)
هدماً تنظلم
بجراح
تكلّم
مُقلّة غارث، وأنفٌ قد نهشم
وسألناه،
فألقي فادخ الوزير عليك
بيديك،

(١) قبيلة عربية.

قال، قد أشبعته ضرباً وقصفا
بيديك،
في فناء البيت قد هشمته وجهاً وأنفا
أصحيح؟..
يا بن أههم!
أصحيح؟..
ما ادعى هذا الفزارى الجريح!

* * *

جَبَلَة: «بهديو»

لستُ من ينكرُ أو يكتُم شيئاً
أنا أدبْتُ الفتى، أدركتُ حقِّي بيديا.
عمر: أي حق، يا بن أههم؟..

عند غيري يُقهَرُ المستضعفُ العافي ويظلم
عند غيري جبهةٌ بالإثم، بالباطل، تُظلم
نزواتُ الجاهلية
ورباخُ العنجهية
قد دقتاها، أقمنا فوقها صرحاً جديداً
وتساوى الناسُ:
أحراراً لدينا وعبيداً
بأخذ الحقِّ القضاء

وهو - لا أنت - الذي يُنفَّذُ عندي ما يشاء^(١)

قرأ سليمان التاريخ..

قرأ وائل التاريخ وأعاد صياغته..

وما أدعي أنني أحسنُّ عنه التعبير..

لقد كان هذا رائدي

وصادقاً حاولتُ^(٢)

نعم.. فتح شاعرنا «الأغاني» غرضاً «كمن يخطر على باله أن يعبت

بشيء بعد عمل مجهد» وإذا بالعروبة تتعمق أمامه في حادثة صغيرة قد

يقرأها الانسان العادي فلا يجد فيها ما وجد سليمان العيسى.

«هناك جانب آخر، لعله أضخم وأهم بكثير..

الموجة الجديدة.. الفتح العربي الذي حمل الرسالة ناراً ونوراً..

الى العالم..

ودك في مثل الملح أقوى مملكتين في ذلك الزمن..

وراح بقيم على أنقاضهما موضوع ضخم.. تهيئته كثيراً..

وأى قلم صادقي يمس مثل هذا الموضوع دون أن بهاب؟..

لقد كتب عنه الكثير..

فناً وأدباً - ولا أقصد التاريخ - ولكني ما أذكر أنني ارتحتُ لقراءة

شيء مما كتب كل الارتياح..

(١) سليمان العيسى ابن الأهمم الإزار الجريح - لمحة ١٠ ص ١٤١-١٣٨ .

(٢) نفسه ص ١١ .

هناك أفلام قوية..

وثقافة تاريخية واسعة.. وجهد محمود.. لا أنكر ذلك، ولا ينكره أحد. ولكنني كنت أبدأ أحس أن القلم الذي لم يفتح أمامه أكثر من نافذة يرى منه النور الذي يرهق..^(١)

ماذا قرأ سليمان العيسى؟..

وكيف قرأ سليمان العيسى هذه الحادثة الصغيرة الكبيرة؟..

لا يقرأ التاريخ من لا يعرف الغوص..

«لقد كان عمر بن الخطاب يبني عالماً جديداً حين قال لجبلة:

«إن الاسلام قد جمعك وإياه»

واني لأرى فيها كلمة من تلك الكلمات الفاصلة التي تختم

مرحلة، وتبدأ مرحلة من التاريخ»^(٢)

«إن الاسلام قد جمعك وإياه»

هكذا قال عمر.. وهكذا فصل عمر بين مرحلة ومرحلة. أصرّ

ال خليفة على تطبيقه مبادئ الاسلام دون النظر الى المكانة

الاجتماعية.. الناس سواسية.. الناس أنداد «في ظل الرسالة»

لم يدارِ عمر مرتبة جبلة..

أراد أن يأخذ حق الفزاري الضعيف. عتف الملك الجاهلي

التصرف:

(١) نفسه ص ١١-١٢ .

(٢) نفسه ص ١٢

«عمر: نزوات الجاهلية

ورياح العنجهية

دعك من هذا، وجنبي اللجاج

والجهالة!

أنتما نذآن.. في ظل الرسالة»^(١)

ان الرسالة واضحة إذن.. وعمر يتمسك بالرسالة.. ويغضب الملك

ويهدد بالارتداد.. وماذا عن المرتد؟..

«عمر: عنق المرتد بالسيف تحز

عالم نبينة

كل صدع فيه

بشبا السيف يداوى

وأعز الناس

بالصعلوك،

بالعبد تساوى»^(٢)

* * *

إذن من اعتنق الاسلام لا يجوز له أن يعود عنه وإلا قُتل ولو كان ملكاً..

(١) نفسه ص ١٤٥

(٢) نفسه ص ١٤٧

المودة عن الاسلام صدعٌ يجب أن يداوى
والدواء في حدّ السيف..
منطق القوة؟..

الرسالة واضحة.. هي كالحق.. كالشمس.. كالنهار وضيفة..
هي أخلاقٌ تُمارس وليست مجرد اعتناق خارجي مبتذل فارغ..
الدين هو الدين،
يطبق كله.. أو لا يطبق..

وها هو عمر، بعد أن بيّن لصاحبه الملك كيف يقوم الارتداد —
الصدع، يشرح له الرسالة كما يفهمها هو:

«عُدْ الى الحقّ وضيفاً كالنهارِ

ما حملنا الدينَ زينةً

ولباساً في المدينة

حيثما شئنا. نخلعنا ورجعنا..»^(١)

أجل.. ليس الدين ثوباً نزين فيه أنفسنا.. ليس الدين لباساً نلبسه
ونخلعه متى شئنا.. إنه التزام.. التزام بمبادئ وابدولوجية معينة تطبق
بحذافيرها.. ليس للملك درجة أعلى من الفقير المسكين.. هكذا
جاءت الرسالة.. كلنا بشرٌ.. كلنا سواسية.. كلنا نحمل روحاً.. كلنا
نحمل جسداً

(١) نفسه ص ١٤٨ .

«نجازي المعتدي ضراً بضر»

هكذا قال عمر للملك الغاضب الذي أراد الارتداد عن الدين.

«بشرْ مثلك من عقرته

روحاً، وهامة

تحت أقدام انزعاجك

تحت مجنون هياجك

لا تمارا

عد الى الحق قد مضياً كالنهار»^(١)

فتح سليمان الأغاني عَرْضاً..

كمن يخطر على باله أن يعبت بشيء..

بعد عملي مجهد..

وتعملقت العروبة.. اختلطت بالرسالة.. صارت هي.. صارتا قضية

واحدة.

«الفتح العربي حمل الرسالة ناراً ونوراً الى العالم.. ودك في مثل

اللمح أقوى مملكتين في ذلك الزمن.. وراح يقيم على أنقاضهما

مفاهيم جديدة، يضع الركائز والامس لحضارة جديدة»..

فتح سليمان الأغاني عَرْضاً..

كمن يخطر على باله أن يعبت بشيء..

(١) نفسه ص ١٤٩ .

بعد عمل مجهد..

وقرأ.. وكتب..

استقرأ واستنتج.. بحث في فنه عن الجوهر.. شرح القضية —
الرسالة فناً هو بين المسرح والشعر.. لا يهم.

«أتراني أجزؤ.. فأقول المسرحية؟..»

إن أشباح العمالق من «شكسبير» الى «إيسن» الى «بريخت»
لتنصب أمامي في هذه اللحظة..

وما إخالها الا تبتسم مشجعة^(١)

نعم.. فتح سليمان «الأغاني» عرضاً

كمن يخطر على باله أن يعث بشيء

بعد عمل مجهد..

فتتح للريح نوافذ أعادته الى جبلة وعمر.. عاشهما قضية.. تخلّص
من مرضه اللدّيد الذي اجتاحه منهما عندما سكناه.

كتبهما قضية واستسلم لفترة ما بعد العاصفة الهوجاء..

لقد تطهر سليمان بعد أن فتح «الأغاني» نوافذ لم تبق ولم تذر
فكرةً إلا واسكنتها فيه، في رثيه..

«أما الكاتب العربي الذي يعرض رثيه للهواء الطلق.. للنور من أية
نوافذ جاء..»

الكاتب الذي يأذن للرياح أن تهب عليه من كل جانب — على

(١) نفسه من ١٣-١٤ .

حد تعبیر غاندي — غير خائف أن تقتلعه من مكانه، أو ترحلحه عن موضعه.. فهذا الذي أبحث عنه.. وأتمنى من صميم قلبي أن أتلمذ على يديه.

ما أجمل أن يبحثَ الفِرُّ عن الجواهرِ

جوهر الانسان الذي يبقى!

ولم يكن الانسان يوماً مثلاً أعلى كله.. أو نقيصةً كله..

إن الإنسانية لتتجلى في نقاط الضعف أحياناً أكثر مما تتجلى في نقاط القوة..

وربما وجدنا في الضعف البشري درساً وعبرة يتركان في نفوسنا إحساساً أعمق وتأثيراً أبعد مدى..^(١)

فتح سليمان «الأغاني» عرضاً

كمن يخطر على باله أن يعبث بشيء..

بعد عمل مجهد..

وما عرفَ سليمان أنه بذلك يفتح النوافذ كلها للريح تأخذه الى أرض بعيدة بدأت فيها الرسالة العربية واضحة الحق، كالشمس.. هذه القضية التي أحبها ورضعها مع حليب أمه..
العروبة..

لنا الفدُ	نحن الشباب
المخلدُ	ومجده

(١) نفسه ص ١٢ .

نحن الشباب

لنا العراق والشام ومصر والبيت الحرام
نمشي على الموت الزؤام إلى الأمام إلى الأمام
وفكر الشاعر عندما سمع هذا النشيد تلوه الحناجر بحماس:
«نحن إذاً لسنا قرية..»

ولا مدينة فحسب.. نحن العراق والشام ومصر والبيت الحرام..
نحن كل هذا إذاً..»^(١)

العراق والشام ومصر والبيت الحرام كلها بلدٌ واحدة لكنها تنتظر
ميلاداً من ضياع..

«الأرض العربية يا انطاكية ما تزال كلها مثلك ضائعة.

تتمخض.. وتنتظر ميلادها العظيم.. أجل تتمخض.. وتنتظر بالرغم
من جميع الكوارث..»^(٢)

العروبة قضية نكتب نثراً.. نكتب شعراً المهم أن نكتب..

شاعرنا لا يجعل الشعر قضية بل العروبة قضية..

ليس الشعر همه.. بل العروبة هي الهم..

«الذي أريد أن أقوله للناس.. للإخوة.. للريح.. لكل من أعرف،
ومن لا أعرف..»

(١) باقة نثر ص ٣٠ .

(٢) باقة نثر ص ١٠١ .

إنني لست شاعراً..

تلك هي الحقيقة التي تكشف أعماق أعماقي بالرغم من الدواوين
التي صدرت لي والتي مستصدر أهدأ.

الشعر ليس همي..

ليس الشعر قضيتي..

أنا انسان عربي رأى نفسه يُقتل من داره..

تحت شجرة التوت في قرينه..

يُحرم لغته وتراثه وأرضه وقرينه فجأة.. ويُلقي في الغربة مشرداً أكثر
من أربعين عاماً..

ونظرت حولي..

وأنا طفل صغير..

كيف أَدافع عن نفسي؟..

وماذا أستطيع أن أفعل ويفعل أمثالي؟..

ووجدت الطريق..

حلم ضخم سأحمله ورفاقي.. سنقاتل في سبيله حتى النفس
الأخير..

الحلم الذي عشتُ من أجله وما زلت أعيش هو أن تكون لي دولة
عربية كبرى قادرة على أن تحمي أطفالها فلا يقتلهم من يشاء ساعة
يشاء من بهوتهم في ظل شجرة التوت التي يلعبون تحتها..

ويكتبون أولى قصائدهم تحتها

ويُلقي بهم الى مصير أسود يتلقفهم في الطريق»^(١)

التزم شاعرنا العروبة.. دون أن يؤكد على المصطلح هذا.

التزم شاعرنا العروبة دون أن يقول أنا ملتزم.

ولا أحب كلمة ملتزم ولا كلمة التزام

لأنني أرى التعبير مصطنعاً مهما أُجيدت صياغته

قلت أكثر من مرة:

إن الانسان لا يلتزم لون عينيهِ، ولا تنفسه الطبيعي، ولا جلده الذي

يميش به.

هذه الأشياء هي طبيعته، هي وجوده فلماذا نصرّ على أن نفتعل لها

التسميات...؟»^(٢)

لكن شاعرنا التزم وظلّ ملتزماً سواء رضي بالمصطلح أم لم يرضَ..

التزم شاعرنا القضية — الحلم..

«أشدُّ عليك.. والخمسون تركض في دمي رَهَقاً

أشدُّ عليك.. جعراً تُنبئ الواحات محترقا

أشدُّ عليك.. قافيةً وموسيقى

ورمزاً يأكل العتاث..

(١) باقة نثر ص ١٦٣-١٦٤ .

(٢) باقة نثر ص ٢٤٠ .

يَصْلُبُ نَفْسَهُ فِي الشَّمْسِ.. عَيْنِ الشَّمْسِ.. تَحْدِيقًا
أَشَدُّ عَلَيْكَ يَا هَتَمِي الْعَظِيمِ، وَيَا ارْتِعَاشِ يَدِي إِذَا صَافَحْتُ، يَا شَفَتِي
إِذَا حَدَّثْتُ، يَا جَسَدِي
أَشَدُّ عَلَيْكَ يَا وَطَنِي الْكَبِيرِ.. أَعِيرِكَ الْحَدَقَا
لَتَرَكُضَ فِي عَيُونِي، فِي دَمِي، فِي نَبْرَتِي رَهَقَاهُ^(١)
أَجَلِ..

لقد جعل سليمان العيسى من الوحدة القومية العربية همه العظيم
الذي يرافقه في حله وترحاله، ويأكل معه ويشرب ويتجلى في كل
خلجة من خلجات فؤاده، في ارتعاش يده عندما تصافح، وحركة
الشفاه عندما تتحدث، وفي كل خلية من خلايا جسده.

هذا الوطن الكبير هو أعز ما عند الشاعر
يضحي له بأثمن ما لديه ليراه أمامه، يركض في عينيه وفي دمه
وفي نبرته رهقاه^(٢) الحلم العربي رمز..
رمزٌ للألم والقسوة وللقوة معاً

رمزٌ للتمرد على الظلم والظلمة.. الحلم العربي «حلم أشد حقيقة»
من وجود الشاعر.. حلم حقيقي.. لا.. بل أكثر من حقيقي..

(١) سليمان العيسى — أغان برهشة البرق — قصيدة أقاتل باسمك العريان.

(٢) د. أحمد أبو حاقه — الالتزام في الشعر العربي — دار العلم للملايين ط ١ —
١٩٧٩ ص ٤٨٣ .

حلمٌ تجسد في انتصار تشرين.. أعاد بعض أمل الى نفس الشاعر..
الحلم قد يتحقق.. الوحدة.. التحدي.. هل صار الحلم حقيقة؟..

«أشدُّ عليك في تشرين تُمحي دونك الأبعاد
وتُخترق الصحارى والحدود، ويلتقي أهلي بلا ميعاد
وتسقط كل أفنعتي

واكتب بالدم العربي في الجولان أغنيتي
وأعبر، أعبر الماء الذي حزوا به رثي
وقالوا: أنتَ أستاذُ

وقالوا: مصرٌ لا عرب، ولا قري، ولا دار
ومصرٌ كتونس، كظفار، كالقرآن من جسدي أتختار؟..
أضوء الشمس، نبض العرق، لون العين، يُختار؟
صحدي يا صلاتي الليل، والتابوت، والغرق،
وشدني على الصحراء سيفاً يحق العنات محترقا»^(١)

فتح سليمان النوافذ كلها للرياح والتزم دون أن يرهذ لالتزامه
اصطلاحاً..

ان التزام سليمان العيسى «هو التزام نابع من الايديولوجية البعثية
القائمة على مفاهيم الانبعاث القومي العربي والوحدة العربية الشاملة،

(١) سليمان العيسى — أغان بريشة البرق — قصيدة اقاتل باسمك العرمان.

وامتداد الحضارة العربية في الفكر والدين واللغة والتاريخ والقيم الإنسانية.

ومبادئ الاشتراكية العربية النابعة من صميم حياة العرب وإمكاناتهم ورسالتهم الإنسانية، وتغلب العرب على محتتهم الكبرى التي نكبتهم بها الصهيونية ومؤيدوها من قوى الاستعمار، وتحرير الأرض العربية من كل ما هو غير عربي، وكل ما يحمل في ثناياه خطرًا على العرب وحضارتهم ووجودهم ومكانتهم بين الأمم.

ويتسم التزام العيسى بالثبات وازدهاد التعمق مع الأيام وتوظيف الشعر في سبيل القضية التي آمن بها، وقضى عمره في العمل من أجلها^(١)

توظيف الشعر في سبيل القضية؟..

أجل

نردد مع شاعرنا الكبير..

«الشعر ليس هتي

ليس الشعر قضيتي..

إنني لست شاعراً

تلك هي الحقيقة التي تكشف أعماق أعماقي»

ليس الشعر قضيته.. القضية هي الجماهير العربية منذ القصيدة

الأولى وحتى الآن.

(١) د. احمد ابو حافة، الالتزام في الشعر العربي — دار العلم للملايين ص ٤٩٠ .

وحين وزع المقاتلون الفلسطينيون في أصقاع الوطن العربي
وأصقاع العالم بعد مجزرة بيروت نرى شاعرنا يتفقد حماسة وقد اقتبس
عنوان القصيدة «الفلسطيني الطائر» من أسطورة «الهولندي الطائر»
المعروفة..

«في الغرب يزرعونك
في الشرق يزرعونك
في العتمة السود، في الضباب
في رجفة الحراب
تودُّ لو تمحوكَ من ذاكرة التراب
ومن رؤاهم..
حين تنطبق الأهذاب
عليك كابوساً، وحلماً أدمن العذاب
لكنك الباقي على الزمن
حكاية الوطن
يا رائع الشقاء واليأس
يا سيد الشقاء واليأس
حكاية الشعب الذي يقاسم الإله
بقاءه ويبدع الحياة
من دمه المجفّف،
المنزور في ضميرنا،

وفي ضمير قاتليه

يبدع الحياة..»^(١)

حكاية الوطن كابوس وحلم أدمن العذاب..

حكاية الوطن حكاية «رائعة الشقاء والمحن»

حكاية الوطن سيدة «الشقاء والمحن»

حكاية الوطن تصارع.. تبقى.. تحيا رغم الموت المزروع

والمقصود..

حكاية الوطن دم جفّ وذُرّ في الضمائر.

حكاية الوطن دم جفّ ليظهر، ويؤرق، ويزلزل.

حكاية الوطن جذور تهاجر.. تهاجر..

وشاعرنا يعرف بالضبط ماذا تعني الهجرة.

وماذا يعني الاقتلاع،

وماذا يعني أن ننبش في الذكريات الأليمة..

يعرف شاعرنا تماماً ماذا تعني الهجرة:

«يا أيها المذرور في ضميرنا..

وفي ضمير الأرض

يا لهب..

يظهر العرب

يؤرق العرب

(١) قصيدة الفلسطيني الطائر وقد كتبت عام ١٩٨٢ .

يا سورة الزلازل في جنازة العرب
في الشرق يزرعونك
في الغرب يزرعونك
وراء صميت الصميت والنسيان يزرعونك

يا هجرة الجذور في التراب
يا قصة العذاب
تناثري في لحمنا، في دمن الفسيح
في عتمة الوطن، الزنانة، الجريح
عساهم إن أطبقوا الأجفان
في مصنع القتل الذي يدعونه الزمان
يستشعروا الأمان
عسى يذ القاتل تستريح
من قصة الميث الذي يقاسم الإله
بقاءه، ويدع الحياة
من دمه المذرور في كل الجهات..
يدع الحياة^(١)

فتح شاعرنا الأغاني غرضاً

(١) قصيدة الفلسطينية الطائر — سليمان العيسى.

كمن يخطر على باله أن يعيث بشيء
بعد عمل مجهد

فالتقى عمر بن الخطاب والتقى جبلة ورافقهما أو، رافقاه..
وفتح الشر والحقد والاستعمار على الوطن — القضية سمومه
فأعادها شاعرنا إلى مصدرها بعنف
ورفض للقضية أن تموت..

إنه ليس شاعراً
والشعر ليس همه
ليس الشعر قضيته
إنه حالمٌ كبير..

والحلم دولة عربية كبرى تستطيع أن تحمي أطفاله..
يخشى سليمان الاقتلاع..

لا يكتب الشعر للشعر
بل يكتب القضية التي تؤرقه شعراً
«ما أجمل أن يبحث الفنان عن الجوهر»
هذا ديدن شاعرنا..

أجل.. من العروبة ينبع شعره..
وفي العروبة يصب:

«أنا في أعماق قومي صرخة
تتنظي لا قصيداً يُقرأ»

حسب لحن ينتهي في وتري
أنه في صدر غير يبدأ
«الشعر القومي الذي يلقي بظلاله وألوانه على كل ما في الوجود
من حولي
على كل ما يمر بي في الحياة.. الحزن، الفرح، الحب، الطبيعة،
المرأة، الوطن، الاطفال، الناس، الثورة، الاشتراكية، الاصدقاء،
الخصوم، الى آخر ما يعرض للشاعر في هذا الشريط الذي نسميه
العمر..»

هذا الشعر القومي هو السمة الأولى لتاجي، هو الطابع المميز لكل
ما قلت وما سأقول

هو النهر الذي تتفرع منه كل السواقي، لتصب فيه:

«وتسألني..»

وظلّ الصمت يرهقني

يشدُّ عليّ بسحقني

وألف يدي تمزقني

لماذا لا يرف الورد في بستانك الشاعر؟..

لماذا لا يضيء دربك مبسم ساحر؟..

أما من واحة خضراء تغوي المرهق المجهد؟..

أما من خمرة غير التي في الكأس، إن أنشد؟..

بلى.. يا طفلي الحلوة
لكل سلافة نشوة
وأجمل من مآسينا
حياتك بسمه ربّا
وأحلى من أعاصيري
شعاع نصف مخمور
يصب بكأسي السحرا
ويجري في دمي شعرا
ولكني تؤرقني
طيوف ما تفارقني
تشدّ علي.. تسحقني
ملايين من المقل
من الايدي.. تلوح لي:
عطاش نحن.. لا فطرة
وغرقى نحن.. لا نفطرة
وجودك قطعة منا
أشبع عنا..
إن استعلت النوى، خُنا
وجزّب بعدنا الفنا
وأرمني في الدجى بصري

مدى النظر
وأغمس في اللظى شعري
ويعلي الجرح في صدري

في مثل هذه المقطوعة الشعرية، وغيرها من المقاطع، عبرت عن ذلك بوضوح.. وما أخالني أضيف شيئاً إلى هذا التعبير الشعري حين أحاول الكتابة عنه..

لا أستطيع أن أفهم الحرية على أنها مسألة فردية، تتعلق بوجودي وحدي.. سأكون واحداً إلى حدّ السذاجة إذا تصورت أن خلية بمفردها تستطيع أن تكون حرة في جسد مريض^(١).

فتح سليمان كتاب التاريخ غرضاً،

بل فتح سليمان عينيه

فوجد العروبة تتألم

أنشدها لحناً لا يُنسى

صارت في أعماق الذكرى

نشيداً ألحائه تُحفظ!

(١) في فضايا الشعر العربي المعاصر - ص ٢٧١-٢٧٣ .

الشعر بمفهوم سليمان العيسى

«في المجموعة الكاملة التي حملت عنوان «شعر سليمان العيسى» والتي صدرت منذ أمد قريب عن دار الشورى في بيروت.. يجد القارئ مقدمة مكثفة أوجزت فيها — أو حاولت أن أوجز — ملامح هذه التجربة تحت عنوان «قطرات ضوء على الطريق».. وأعود إلى هذه المقدمة المكثفة..

إلى هذه القطرات الآن لأجدها توميء إيماء، وتكتفي بالإشارة. وتبقى نقاط وزوايا عديدة تحتاج إلى الإضاءة. ولكنني مع ذلك سأقتطف منها جراح الأمة وجراح القصيدة التي عانيت منها منذ فطحت عيني على الحياة..
تقول المقدمة:

- الشعر نبض الحياة العميق.. قمة كفاح الإنسانية.
- حين قدر للكلمة أن تحمل جناحين، أخذ الإنسان يحقق معناه بدأ تاريخه الجميل.
- إنني لا أستطيع أن أتصور إنسانية بلا شعر. ولكنني مع هذا لست شاعراً.
- أنا خلية في جسد.. تبحث عن ملايين الخلايا من أخوانها وتكافح بلا هوادة، لكي يتحرك الجسد، وتفتح الحياة.

- وجسدي هو امتي.. هذه الأمة العربية العظيمة، المنكوبة، الممزقة التي مدت جسور الحضارة بيني وبين العالم منذ وجد العالم، وكانت الحضارات.

- من هنا.. تبدأ قصة الشعر في حياتي.. وهنا تنتهي.. والشريط الذي سيرضه ديوان سليمان العيسى على القارئ ليس إلا حلمًا رائعًا يقاتل ليتحقق.

- كل منجزات التاريخ العظيمة كانت في يوم من الأيام أحلاماً عظيمة. ومن هذه القناعة انطلقت، وما زلت مصرًا على قناعتي وأحلامي الصلبة.

- الحلم هو الصحة. والواقع الذي من حولي هو المرض، والمرض طارئ مهمما طال ومهما استشري. والصحة هي الهدف. والكفاح من أجل هذا الهدف هو شرط وجودنا ولا بد للشعر أن يمتلك هذا الشرط ليكون شعراً في رأيي.

- أنا جزء من أمتي. ونحن جزء من الإنسانية — ولا سيما المفهورة المعذبة منها — تريدني أن أكون صادقاً معها، تريدني أن أنفـس برئسي، وأحس بأعصابي وأدافع عن وجودي المهدد.. عن إنسانيتي.. وعندئذ.. سألتقي الإنسانية كلها، وأحيا فيها، وتحيا في.

- كانت الجماهير العربية — وما تزال — قصيدتي الأولى أعطتني أكثر مما أعطيتها. كانت جماهير من الكبار أضيفت إليها مؤخراً جماهير الأطفال.. كما تعرفون.

- العروبة التي غنيتها - وما زلت - نسيج حضاري هائل
تشابكت فيه ملايين الأصول والفروع لتعطي الإنسان أكثر مما أعطاه
شعب على وجه الأرض:

وأبعد نحن من عبي ومن مضر.. نعم أبعد
حمورابي، وهانسي بعمل بعد بض عطائنا الأخلد
ومن زيمتوننا عيسى ومن صحرائنا أحمد
ومنا الناس - يعرفها الجد يع - تعلموا أبجد
وكننا دائماً نعطي وكننا دائماً نُجحد

- قديماً قال أجدادنا: الشعر ديوان العرب. أما أنا فلن أتجاوز
الحقيقة إذا قلت: الشعر كهرباء العرب. من تجربتي الشخصية بين
المحيط والخليج، وصنعاء واسكندرونة أخذت العبارة، قل: عشتها
رعدة رعدة.

- التجربة هي ينبوع الذي يسقي الإبداع. كيف تخضّر شجرة
بلا ماء؟..

- مهمة الكلمة أن تتحول إلى طاقة، إلى فعل. ان الكلمة ليست
مجرد شكل لفظي يتألف من حروف وإيقاعات صوتية انها جزء لا
يتجزأ من وجودنا، من حقيقتنا، من سلوكنا اليومي.

وإذا لم تحمل رصيذاً من هذه الحقيقة، ظلت شيئاً يدور في الفراغ
ولا يترك أي أثر.

يايُجاز: الكلمة هي الإنسان»^(١)

سليمان العيسى إذن ليس شاعراً رغم دواوينه. وليس ملتزماً رغم
صوت القضية العالي..

هو حامل القضية... هكذا يريد لنفسه أن يكون... وهذا هو
الشرف الأكبر...

الشعر نشيد.. الشعر موسيقا...

«أنا من المؤمنين بأصالة موسيقانا العربية..

وإذا ما تجلت في شيء، فإنما تتجلى في الشعر... الشعر العربي..

صانع «السمفونيات» الرائعة من أول معلقة إلى أحدث قصيدة غناها
شاعر أصيل.

لقد قام الشعر العربي «بُنشد»..

والإنشاد غناء..

أما نحن..

فقد اخترعنا الإلقاء،

والإلقاء — مهما أجاد — كلام، ونبرات.

لا تقرأ الشعر...

بل أنشده..

غَنَّهُ — إذا استطعت —

تضع يدك على كلمة السر فيه.

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر — دراسات وشهادات — تونس ١٩٨٨ .

والغناء همسٌ داخليّ ترتاح له النفس، ويهتز الشعور.

موسيقا صامتة، تنساب في الأعصاب...

قبل أن يكون أصواتاً، وأنغاماً تُسمع.

موسيقا الشعر إذاً شيء مقدس.

شيء من صميم اللغة من صميم التراث...

ولكنْ أبْظُلُ شعرنا على عموده القديم؟..

أليس في موسيقانا، في لغتنا، متسع لألوانٍ من النغم خديدة؟..

هنا آتي إلى موضوع «التفعيلة» التي اتخذها معظم شعرائنا الشباب
أساساً للوزن..

بدلاً من البيت القديم الراسخ بشطره المعروفين... والتي استعنت
بها — وسوف أستعين — في كل محاولة.

اتخاذ «التفعيلة» أساساً لوزن الشعر ليس حرية، ولا انفلاتاً، كما
يتوهم الكثيرون.

جَرَّب أن تعزف نغمةً على آلة واحدة.. على عودٍ مثلاً..

ثم جرب أن تعزف النغمة نفسها على خمس آلات أو عشر...

ما أشك أنك ستلاقي من المشقة في الثانية أضعاف ما تلاقيه في
الأولى أحياناً.. لا لشيء،

إلا لأن توزيع النغمة نفسها على «جوقة» كاملة يكلفك جهداً، وعرقاً
يعرفه موزعو الألحان ويأرقون من ورائه الليالي الطوال...

إنني أرثي لمن يستون النظم على أساس التفعيلة «شعراً حراً»
ولكنني أشد رثاء لمن يجربونه وهم يظنون أنهم قد تحرروا من القيود..
إذا كان في أوزاننا القديمة قيد محجب...

ففي التجربة الجديدة ألف قيد..
كلها محببة.

ولنحذر الميوعة.. والتزييف..

يا بهجاز أقول:

كنت أختار موسيقا العمود حيث أراها أصلح، وأغنى. ثم أعدل
عنها إلى موسيقا التفعيلة في جو آخر.. وكان مثلي الأعلى في ذلك
كله هذا السحر الحلال.. هذه الموسيقا الخالدة التي تهدر بألف لون
ولون في القرآن الكريم:

اقرأ معي هذه الآيات الكريمة على سبيل المثال^(١)

«فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان.

فبأي آلاء ربكما تكذبان.

فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان.

فبأي آلاء ربكما تكذبان.

يُعرف المجرمون بسيماهم، فيؤخذ بالنواصي والأقدام.

فبأي آلاء ربكما تكذبان.

ولمن خاف مقام ربه جنتان.

(١) سورة الرحمن.

فبأيّ آلاءٍ رهكما تكذّبان
ذواتنا أفنان.

فبأيّ آلاءٍ رهكما تكذّبان
فيها عينان تجريان.

فبأيّ آلاءٍ رهكما تكذّبان
فيها من كل فاكهة زوجان.

أليس في هذه الموسيقى الخالدة ينبوع الشعر الجديدة. ما أجدرنا
أن نتلمذ على بيان السماء!

أحب ألا أدع الحديث عن موسيقا «التفعيلة» قبل أن أشير إلى نقطة
صغيرة، ولكنها، على صغرها، تهمني كثيراً..

تعودت الأذن العربية على الأجيال أن تسمع نغمة البيت المحدد.
ستعود هنا أن تسمع نغمة «الجملة» أو «المقطع» الكامل، يقوم في
كثير من الأجيال مقام البيت الواحد في الشكل وفي المضمون على
السواء.

هل تأذن لي بمثال؟..

إليك هذا «المقطع» على لسان جَبَّلة يخاطب فارسه الغساني، قبل
أن يوجهه برسائله إلى عمر:

قد أن أن تلتقي اللحمه والشدى

با عمرو، إنا — مثلما تعرف — كنا أبدا

دنا الحمى أو بُدا

في الدهر كنا أبدا
أرومةً واحده.
روحاً ويدا..

إنه — كما ترى — من بحر الرجز، هذا البحر المرن المعروف..
ولكنك تغلمه كثيراً إذا قسمته خلال القراءة إلى أشطرٍ وأبيات..
إنه «جملة موسيقية»
إنه «مقطع واحد»..
ومرة أخرى..

أراني ألجأ إلى القرآن الكريم أتمس منه المثل. اقرأ معي هذا الوعيدَ
المزمجر:

سأصلبه سقر
وما أدراك ما سقر
لا تبقي ولا تذر.
لؤاحة للبشر.
عليها تسعة عشر.

ألا نحسن في هذه الآيات الخمس القصار دفقة واحدة متصلة في
النغم؟..

«جملة موسيقية» رائعة..
إن صح التعبير؟..

• • •

وربما سأل سائل:

لَمْ تَعْبَثُونَ بِالْبَيْتِ الْوَاحِدِ، فَتَكْتَبُونَهُ موزعاً على فقرات.. في بضعة أسطر؟..

أما أنا فأعيذُ لفتنا وتراثنا من العبث..

يخيل إليّ أن توزيع البيت على سطور لا يصنع إلا في حالات معينة.

حين يريد الشاعر أن يشحن العبارة، أو يزودها بانفعال خاص هذا التوزيع إذاً، وقفات نفسية..

طاقةً يراد لها أن تتركز في فقرة، في عبارة من البيت.

ولنأخذ على عجل هذا البيت مثلاً، يقوله عمروُ الفارس الغساني لحبيته، معبراً عن ألمه وسخطه لوقوفه مع أبيها إلى جانب قيصر، ضد أبناء قومه الفاتحين:

أحمي بقية قيصر

بعبيده

لابي، ولا بأبيك

قيصرُ يحتمي.

إن كلمة «بعبيدة» بداية انفجار..

تتلوها عبارة «لابي، ولا بأبيك» حاملة العنف نفسه، والثورة نفسها على موقف سابق عانى منه الفارس ما عانى..

وربما ضاعت كل هذه الانفعالات التي يريدها الشاعر إذا ما كُيِّبَ
البيتُ سطرًا واحدًا بلا وقفة ولا فاصل.
تلك نقطة تظل ثانوية على كل حال..
ولك أن تقرأ الشعرَ وتكتبه كما يحلو لك.

• • •

هناك القافية..

ولا بد من همسة حولها ولو طال الحديث..
إنها الشاطئ الذي تنكسر عليه امواج الشعر القديم فإذا هو صخورٌ
وعرة مرة..
ورمال في لين الحرير مرة أخرى..

ويخطيء من يظن أن الشعر الجديد «شعر التفعيلة» يتساهل
بالقافية، أو يستهين بنبرتها الحلوة، وإيقاعها الجميل..
السهولة عدوة الفن..

هذا رأيي على الأقل.

أعني تلك السهولة التي تفر من الجهد والمعاناة..
لتقف على حافة الركافة والابتذال

لست من علماء التشریح

ولكنني أرى القافية في الشعر الجديد أشبه بذلك الإعجاز اللماح
الذي يصدر إلى الأعصاب إلى الجسم كله، فإذا هو يرتعش
ويستجيب.

وما أخطَرَ أن يختل هذا الایماز على الجسم كله
على الحياة..

يقال: إن أقل نتائجهُ الفوضى والشللُ

إنني حريص على القافية،

على هذا الشاطئ الجميل،

أما كان لون الشعر الذي أحاوله.^(١)

(١) مجلة بن الایهم — ص ١٥-٢٢

شكل القصيدة

«ولعل الشكل الذي انتهيت إليه في قصائدي الأخيرة:

«إلى ابي الطيب المتنبي» في مهرجان المتنبي ببغداد و «دمك الطريق» في ذكرى عمر المختار بمدينة بنغازي. و... «أضم ثراك يا خضراء» في مهرجان قرطاج بتونس و «من أين أبدأ» في يوم فلسطين ببيروت لعل هذا الشكل الذي يستغل نفحة البحر الواحد، فيلونها ويتصرف بها. هو أقرب أشكال القصيدة، وأحب إليّ، ذلك لأنه يحاول أن يحقق المعادلة التي نبحث عنها:

الأصالة والجدة..

الانفتاح على الجديد انطلاقاً من الجذور... من الاسس المتينة التي بني عليها شعرنا وذوقنا العربي عبر التاريخ:
خذيني.. ليس من ورق إهابي

دم التاريخ ينبض في رهابي

أغني.. كل أنات السباها

حروفي.. كل ملحمة العذاب

أقول قصيدة... حلم جريح

يؤرق مقلة الدنيا كتابي

خذيني.. لست رجع صدى

ولا عددا..

ولم آتِ المدينة كالغريب بدا
ووجهها ليس يعرف في مضارب أهله أحدا
أنا التاريخ والبلدُ
أنا العددُ

وتبقى الأرض، والأرض التي تلدُ
على ناب الأفاعي والخناجر، لم تزل تلدُ
وتحمل وجهها العربي عتقت المآسي فيه والأحزان والسهدُ
وصارا توأمين، وهاديين، الغي والرشدُ
أنا.. أعرف الصحراء بيتي
وأعرف أي سر في السياج
خذيني فني صميم القحط زرعي
جذوري في شرايين التراب
خذيني... ليس من ورق إهابي^(١)

في قضايا الشعر العربي المعاصر — دراسات وشهادات ٢٧٧-٢٧٨ .

التراث والمعاصرة أو القديم والجديد...

«يخيل إلي أنني كتبت رأبي في هذا الموضوع الذي طال فيه الجدل، وكثر الحديث بالفقرة التالية في مقدمة مجموعتي الكاملة:

«أن تعصر المتنبى ولوركا

والمعري.. وغوته

ثم تقف على قدميك..

وترى الدنيا بعينيك

تلك هي الحداثة والمعاصرة..

بكلمة أدق: تلك هي الأصالة فيما أرى»

وأعترف أنني كنت مشدوداً إلى التراث في الفترة الأولى

من نتاجي، وكانت ظلال القرآن، والمعلقات، ودهوان المتنبى تحيط

بني، وتشدّ على يدي، في كل قصيدة أكتبها. ولكنني ما لبثت أن

انفتحت على عوالم جديدة عندما أخذت أطلع بشغف الآداب

الأجنبية، وشعراء الغرب. بالمناسبة، إنني أحسن الفرنسية والإنكليزية،

وأستطيع أن أقرأ عن طريق هاتين اللغتين معظم النتاج الأدبي في العالم.

مبكراً قرأت الشعر الفرنسي وحفظت الكثير منه:

راسين، كورنيه، مولير، فكتور هيغو، لامارتين، وأخيراً بودلير.
فرلين، رامبو، إلى آخر القائمة..

وفي مطلع الشباب، كنت أقرأ أيضاً الانكليزي وأتأثر بمدرسته
الرومانسية إلى حد بعيد:

بيرون، شيلي، كتييس، وردزروث..

ثم اتسعت مطالعاتي فقرأت كبار شعراء الألمان والروس،
والأميركان، والإسبان..

وكان غارسيا لوركا أقرب هؤلاء الشعراء إلى نفسي وأحبهم إلي.
ومررت في تجربتي بالمدارس الشعرية من الكلاسيكية.. إلى
الرومانسية، إلى الرمزية، فالواقعية الجديدة..

وكان لكل من هذه المدارس أثرها في كتاباتي.. ولكنني — فيما
أرى — لم أتأثر بواحدة من هذه المدارس كما تأثرت بالواقعية الشعرية
الجديدة... ولا سيما بعد أن عشت زمناً مع قصائد مايا كوفسكي،
وبابلو نيرودا، وناظم حكمت، وكاتب ياسين.

وترجمتُ مع زميلة لي تجيد الانكليزية مجموعة سيلدن رودمان
«مائة قصيدة من روائع الشعر الحديث».

ومع هذا... فقد بقيت تجربتي الشعرية تجربة عربية تضرب
بجذورها في أعماق الصحراء.. وتناهى عن أن تتزيا بغير زبها العربي
الأصيل.

ليس في نتاجي كله أثر لأسطورة يونانية مثلاً.

ولم يدخل «سيزيت» وأضرابه أية قصيدة من قصائدي.. بالرغم من قراءتي الدائمة، وشغفي بالاطلاع. كنت ألوم صديقي الشاعر المبدع المرحوم بدر شاكر السياب ونحن على مقاعد الدراسة، في دار المعلمين العالية ببغداد، حين كنتُ أجده يركض وراء كل حكاية غريبة عن تاريخنا وأسطورة لم ينسجها تراثنا ويحاول جاهداً يتبناها وأن يتكلم عليها في شعره.

كنت أقرأ ما يقرأ.. وأتذوق ما يتذوق.. ولكنني أؤثر أهدأ أن أقف على قدمي، وأرى الدنيا بعيني..^(١).

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر — دراسات وشهادات من ٢٧٣-٢٧٤ .

الخطابة في الشعر

وأراني هنا أستعير التعبير الذي يستعمله النقاد بكثرة حين يتحدثون عن الشعر المسموع النبرة الذي يتجه أصلاً إلى الناس ليقول على مسامعهم ما يريد.

إنني لا أستطيع أن أنصور قصيدة تقال دون أن يكون لها سامع أو متلقٍ تنجه إليه.. وإلا.. فلمن تقال؟.. ولماذا تقال؟..

منذ خيمة «الأدم» التي كانت تضرب للنايفة الذهباني في سوق عكاظ، إلى آخر قصيدة حديثة ألقاها شاعر من شعراء الشباب في مهرجان قرطاج بنونس.

فإن شعرنا العربي يخاطب الناس، يحاول أن يسجل همومهم، ويحمل إليهم أفراحهم وأتراحهم ومطامحهم وأحلامهم... وما يزال... العلة ليست في الكلمة الجميلة الفادرة التي تنجه إلى السامعين، لتنهزم، وتصل إلى أعماقهم، وإنما العلة، كل العلة، في الكلمة الرديئة الهزيلة التي لا تستطيع أن تفعل شيئاً مهما علت نبرتها.. والتي ليست من الفن، ولا من الشعر في شيء.

قلتُ هذا غير مرة.. وسأردده دائماً.

كانت قصائد المتنبي، وهو يسجل بطولات سيف الدولة، ومعارك الجيش العربي، خطباً شعرية مجلجلة كالرعد، وما أظن أحداً يجرؤ

على اتهام المتنبي بأنه كان شاعراً رديفاً حين كان ينشر روائعه تلك
على مسمع الناس، ومسمع الدهر معاً:

وما أنا إلا سمهري حملته

فزَيْن معروضاً، وراع مسدداً

وما الدهر إلا من رواة قصائدي

إذا قلتُ شعراً أصبح الدهر منشداً

فسار به من لا يسير مشمرا

وغنّى به من لا يغنى مغرّداً

أما أنا، فقد كانت الجماهير العربية قصيدتي الأولى — كما قلت

— وما تزال وكانت القصيدة التي ألقيتها على الناس، أشبه بهكرة النار
أرمي بها إليهم، ليردوها إليّ أكثر حرارة، وأشد اشتعلا.

صحيح أن الشاعر قد يضحي بشيء من «فتية» القصيدة عندما

يعيش في صميم الجماهير، في صميم الحدث، ولكنه مطالب أهدأ بأن

يحقق المعادلة الصعبة.. أن يرقى بالناس إلى مستوى الجمال والفن،

دون أن يضحي بأحد طرفي المعادلة وتلك هي المشكلة:

ما أصعب أن يكون الإنسان شاعراً

وما أروع أن يكون^(١)

(١) نفسه، ص ٢٧٤-٢٧٥ .

مولد القصيدة

الإلهام

أومضُ في الأعماقِ لمخِ الشهاب
في شارعٍ في هدأة، في اصطخا
أومضُ وخزِ البرقِ فسي رأسه
أتركه.. أمضي وراء السحاب
يظنني ضمْتُ.. يلمُ الرؤى
ينسى بدأ دقت بقلب الضباب
وينطوي يوم، وعام، فما
للعمر، للتاريخِ عندي حساب
عمري هو التاريخ.. إشرافتي
هي المدى لا ينتهي، لاهجاب
وبغثة ينفذ عن جفنه
شيئاً كما رف جناحا عقاب
كما هوت فوق الثرى قطرة
من غيمة مجهولة، من سرا
وهم... أعادت؟.. إنه صوتها
أعرفه، يهمس خلف الحجاب

يشتد، بجناح بلا موعده
 بلا صدى، يندرنى بالعقاب
 بضياء بالذكرى... يصب السما
 في شفتي غمغمة من رباب
 يا للصراع الحلو.. ما بيننا
 أرهقته حتى استجاب..
 وهكذا تولد القصيدة في رأس الشاعر..
 ثم يبدأ الصراع الحلو المر
 مع الفكرة.. مع الصورة.. مع اللفظة.. مع الموسيقى.. مع عشرات
 العناصر الفنية الدقيقة التي لا يمكن تحديدها حتى تكتمل خلقاً سوياً..
 إنني أكتب القصيدة الطويلة من ثمانين إلى مائة من الأبيات.. في
 يوم واحد.. ثم أنتحها في يومين أو ثلاثة..
 وربما كانت عملية التنقيح هذه أهم وأدق ما في كتابة الشعر
 عندي..^(١)

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر — دراسات وشهادات ص ٢٧٥-٢٧٦ .

عندما يغني سليمان العيسى للأطفال

البداية الحقيقية للكتابة للأطفال كانت في أعقاب نكسة ١٩٦٧ .
قبل ذلك كتب سليمان الشعر للصغار ولكن ليس بهذا الزخم.
- لماذا كتب سليمان للأطفال؟...

«أنقل اليكم همومي وأحلامي

يا أعزائي الصغار..

وعندما تكبرون قليلاً

سترون أنني لم أخدعكم..

لم أضيع وقتكم الغض الثمين بشيء تافه»^(١)

- لماذا كتب سليمان للأطفال؟..

«أنا اعتقد أن الشجرة العظيمة بنّت الغرسة العظيمة. وأن الصغير

الذي يحمل في طفولته فكرة كبيرة هو الذي يخلق الوطن الكبير»^(٢)

- لماذا كتب سليمان العيسى للأطفال؟..

«شعراؤنا — حفظهم الله — ما زالوا يخجلون من وضع بسمه

الملائكة على شفتي طفل أعني من كتابة نشيد للصغار يخجلون أو

يترفعون.. أو يتهيون..

(١) مقدمة غنواها أطفال ص ١٧ .

(٢) نفسه ص ١٨ .

لا أدري..

تغلل النتيجة واحدة..

ويظل أطفالنا محرومين من بسمات الملائكة على شفاههم..

أعني من الاناشيد الجميلة..

من الشعر الحقيقي

ويظل أدبنا العربي ذو التاريخ العظيم محروماً أحلى ينابيعه أعني:

شعر الاطفال..

ورحم الله استاذنا احمد شوقي الذي أحس هذا قبلي وفتح لنا

الطريق..

أهاً كان الطريق^(١)..

- لماذا كتب سليمان العيسى للاطفال؟...

في مقدمة مجموعتي غنوا يا أطفال قلت:

بالشمس والهواء والماء.. تفتح أزهار الربيع

وبالموسيقى والحركة، والغناء

بفتح الاطفال على كل جميل ورائع

دعوا الطفل يغني.. بل غنوا معه أيها الكبار..

إن الكلمة الحلوة الجميلة التي نضعها على شفتيه هي أنمن هدية

نقدمها له.

لكي يحب الاطفال لغتهم

(١) مقدمة غنوا يا أطفال ص ١٤ .

لكي يحبوا وطنهم
لكي يحبوا الناس، الزهر، والربيع، والحياة
علموهم الأناشيد الحلوة..
اكتبوا لهم شعراً جميلاً
شعراً حقيقياً..

يتابع شاعرنا قوله:

وتوالت كتاباتي الشعرية للصغار من سن السادسة إلى سن الخامسة عشرة، وقد تمتد الطفولة في أحدث نظريات التربية وعلم النفس إلى سن الثامنة عشرة موزعة على مراحل عدة بالطبع.

وحاولت في العام الماضي أن اجمع ما كتبه عن شعر الاطفال، فإذا هو أربعة أجزاء يربو كل منها على ثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط والقطع الكبير..

تصدر كلها تبعاً عن «دار الآداب للصغار» و «دار الشورى» في بيروت مزينة بالألوان والرسوم.

وتنوعت هذه الكتابات الشعرية من النشيد القصير المركز الذي يتناول حياة الطفل في البيت، والمدرسة، والشارع، والطبيعة، الخ..
إلى القصة الشعرية الصغيرة.

إلى المسرحية الشعرية التي تكتب لتلحن وتمثل.

إلى المسلسلات الشعرية التي تألف من حلقات عدة بلغ بعضها
أحدى وعشرين حلقة: ملحمة القطار الأخضر.

ولقد حرصتُ ما استطعتُ على أن تتوافر في النشيد الذي اكتبه
للصغار العناصر التالية:

١ - اللفظة الرشيقة الموحية، الخفيفة القل، البعيدة الهدف، التي
تلقي وراءها ظلالاً وألواناً، وترك أثراً عميقاً في النفس..

٢ - الصورة الشعرية الجميلة.. التي تبقى مع الطفل مرة أنتقطها
من واقع الأطفال وحياتهم، ومرة استمدتها من أحلامهم وأمانهم
البعيدة.

٣ - الفكرة النبيلة الخيرة التي يحملها الصغير زاداً في طريقه،
وكتراً صغيراً يشع ويضيء.

٤ - الوزن الموسيقي الخفيف الرشيق الذي لا يتجاوز ثلاث
كلمات أو أربعاً في كل بيت من أبيات النشيد.
إنني أحرص على:

أن يتشابه في النشيد الذي اكتبه للصغار: الوضع والغموض،
الواقع والحلم، المحسوس والمعقول، الخيال والحقيقة. كل ذلك
في كلمات مدروسة بعناية.

ويبقى الغناء الهدف الأول من كل نشيد.

ولقد كانت دهشتي - وما تزال - أكبر من كل ما توقعت حين
وجدت الاطفال في سورية، وفي غيرها من الاقطار العربية، يقبلون

على هذه الأناشيد، ويحفظونها، ويغنونها، ويتجاوبون معها في حماسة ولذة لم تخاطر لي على بال.

إنهم يلحنون الأناشيد لأنفسهم ويدعون لها الإيقاع الذي يروقهم، قبل أن تصل إليهم ملحنة من قبل الموسيقيين الذين أتعاون معهم منذ البداية لتلحين كل كلمة شعرية اكتبها للصغار، وتقديمها إليهم في عمل فني تربوي قومي متكامل.

بقي عليّ أن أورد في هذه الدراسة بعض الأناشيد التي يرددها أطفالنا في كل مكان، وللقارئ أن يحكم بنفسه لها أو عليها:

فلسطين

فلسطين داري ودرب انتصاري
تظلل بلادي هوى في فؤادي
ولحناً أبياً على شفتيا

* * *

وجوة غريبة بأرضي السليبه
تبيع ثماري وتحتل داري

* * *

وأعرف دربي ويرجع شعبي
إلى بيت جدي إلى دفء مهدي

* * *

فلسطين داري ودرب انتصاري

النجار...

عمي منصور نجار
يضحك في يده المنشار
يعملُ بعملٍ وهو يغني
في فمه دوماً أشعار
قلتُ لعمي: عندي لعبة
اصنع لي بيتاً للعبة
مزر السراس، وقال:
أنسا أموى الاطفال
بعد قليلٍ رحْتُ إليه
شيءٌ حلٌّ بين يديه
سواء عمي منصور
أحلى من بيت العصفور
عمي منصور نجار
يبدع في يده المنشار

سليمان العيسى

الرسام الصغير

أرسم ماما أرسم بابا
بالألوان
أرسم علمي فوق القمم
أنا فنان

* * *

أنا صياد اللون الساحر
أرض بلادي كنز مناظر
دعني أرسم ضوء النجم
دعني أرسم لون الكرم
اكتب شعراً
بالألوان
أحيا حراً
أنا فنان

سليمان العيسى

وأخيراً.. لماذا شعر الاطفال؟.. لماذا تكتب للاطفال؟..
سؤال طرح عليّ مراراً، والجواب:
لأن الصغار فرح الحياة، ومجدها الحقيقي.. لأنهم المستقبل
لأنهم ثروتنا القومية الأولى...
لأنهم الشباب الذي سيملاً الساحة غداً أو بعد غد..
لأنهم امتدادي وامتدادك في هذه الأرض..
ألا يكفي هذا ليشدني إلى اصدقائي الصغار؟... ويربطني بهم يوماً
بعد يوم؟..

* * *

إنني لا اكتب للصغار لأسليهم
ربما كانت أية لعبة أو كرة صغيرة أجدي وأنفع في هذا المجال.
إنني انقل إليهم تجربتي القومية..
تجربتي الإنسانية..
تجربتي الفنية..
أنقل إليهم همومي.. وأحلامي..
غنوا معي إذا..
أهبها الملايين من الأطفال الذين حرّموا الضوء، والفرح،
والنشيد الجميل..
كما حرّموا الثوب، والدف، والجذاء الجميل، غنوا للحرية،
وللحب،

وللحياة..
يا أمل الحرية،
وينبوع الحب،
وفرحة الحياة^(١)

• • •

هذا ونشير إلى تعليق «محمود أمين العالم» حول شعر الأطفال عند سليمان العيسى:

«وقد بهرني شعر الأطفال.

ونخفت في البداية أن يكون مجرد شعر تقريريّ إعلامي تثقيفي مع أنني في حدود هذا الشعر لست ضده. وبخاصة إذا كتب للأطفال..
ولكن عندما تأملت أكثر وأكثر هذا الشعر البسيط للغاية، وجدته شعراً بالغ العمق وبالغ الدلالة الفنية.
عندما نتأمل قصيدة النجار:

عمي منصور نجار

بضحك في يده المنشار

فالقصيد هنا ليست صورة تقريرية عادية...

المنشار يضحك

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر — دراسات وشهادات تونس ١٩٨٨ ص

فأتابع هذا المنشار..

ماذا يعمل؟..

يشبه بيت العصفور أو هو أحلى منه.

فجأة تصبح دلالة هذه القصيدة البسيطة في غاية العمق ذات معنى انساني..

الإنسان وإبداع الجمال، وإبداعية الإنسان نفسه.

والقصيدة الأخرى الرسام الصغير:

أرسم ماما أرسم بابا

بالألوان

أرسم علمي فوق القمم

أنا فنان

القصيدة من أولها إلى آخرها — هي علاقة بين اللون والحرية والعلم الذي فوق القمم.

والقيم دخلت من غير تحديد فهي قيم ثقافية كبيرة تبث بثاً ايحاءياً في الطفل بشعر له المعنى الإعلامي الثقيفي ولكن بقيمة شعرية^(١).

وهنا لا بد من الاستماع إلى شاعرنا وحول معاداته التي يلقاها حين يعيش مع الأطفال:

(١) نفسه ص ٢٨٥ .

«عندما وضعتُ بعض هذه الاناشيد، تَعمدُتُ وكافحتُ أن أضعها
في كتب الصف الأول والثاني والثالث الابتدائية، لكي يحفظها كل
طالب في المدرسة.

أنا جداً سعيد بها.

تجعلني أعيش في عالم أحقق به شيئاً من هذا الحلم الذي عشت
طوال حياتي وأنا أكافح من أجله.

فالموضوع ليس موضوع كتابة، فالكتابة هي الخطوة الاولى ولعلها
الخطوة الثانية جداً بالنسبة لحياة الشعر التي أعيشها مع الاطفال».

فتح سليمان كتاب التاريخ غرضاً،

فتعمقلت العروبة وتعمقلت الايديولوجية فغناها...

فتح سليمان العيسى دفتر ذكرياته

عاد طفلاً. غنى للصغار

وغنى معه الكبار.

ايهان بقاعي

٩٢/١٢/٢

طراد الكبيسي

سليمان العيسى شاعر جعل الشعر وسيلته إلى الناس. لم يجعل الشعر رسالة لذاتها، إذ ماذا يفعل الناس بالشعر إذا كانوا معذبين وجائعين.. ومع ذلك فسليمان يرى أنه لا يمكن تصور إنسانية بدون شعر، لذا جعل الشعر وسيلته المقاتلة من أجل توفير الأمن والخبز والحرية والكرامة للناس.

نذكر سليمان: كان صوتاً هادراً في الخمسينات والستينات وقبل هذا لمن هم أكبر مثلاً طبعاً.

وأخال أنني ما أزال أسمع ذلك الصوت يترنم في جنبات الجامعات في بغداد ودمشق وفي المكتبات والمنتديات الأخرى في شتى أقطار الوطن العربي.

سليمان يدعو الشعر: كهرباء العرب، والعرب كانت تدعو الشعر ديواناً، وأظن أن تسمية كهرباء العرب واضحة الدلالة في شعر سليمان بالذات.

قد تكون التسمية غير مقبولة من آخرين، ولكن في شعر سليمان أعتقد أن لها دلالتها، فهو الشعر الذي يجلب الناس إليه بقوته الانفعالية والعاطفية، ولا أعرف إن كان هناك فيه قوة تنويرية، أن يكتفي بإثارة الحماس، وأظن مع ذلك أن تعبير العرب، أن الشعر ديواناً، أدق وأكثر

دلالة، فهو يحفظ مآثرها ويوعّي جهّالها ويهذّب تذوقها ولهذا، فهو
أخلد من شعر الانفعال أو الكهرباء.

سليمان ضد اللفظية والشكلية، بل ضد الكلمة التي لا تكون جزءاً
من نسيج الوجود العربي كله.

فلأمة أوقف نفسه وحياته وشعره، منها بدأ ويبدأ وإليها يعود.
وهذا يفسر الوضوح المعبر عن نفسه في شعر سليمان، فهو يعتبر
حريته حتى في الإبداع، لهذا فهو ملتزم بهذا القدر الذي وجد نفسه
فيه، وإنه لسعيد بذلك، وإنا رغم قراءاته وترجماته في الآداب الأجنبية
لا نكاد نجد أثراً لتلك الآداب في شعره.

إنه البدوي المكلكل على بشره، أو ما أشبه ذلك، لأنه يمتج من بشر
عربية ولا يريد أساساً أن يرتوي من غير هذه البشر، وقد عبّر عن هذه
المرحلة بقوله:

بقيت تجربتي الشعرية تجربة عربية تضرب بجذورها في أعماق
الصحراء وترفض أن تتزيّا بغير زيتها العربي الأصيل.

[...] لا نستطيع أن نقول [لسليمان] لماذا تحس وتميش هذا؟.

لماذا شعورك هو بهذه الحرارة تجاه هذه القضية أو تلك؟..

هل إن سليمان حقق ما قاله في شعره فعلاً؟..

تلك مسألة أخرى خارج نطاق هذا البحث^(١)

(١) في قضايا الشعر العربي المعاصر — دراسات وشهادات — تونس ١٩٨٨، ص

ادونيس

أرى أن سليمان العيسى ظاهرة في الشعر العربي، بمعنى هو أماننا شاعر اطلع — كما قال لنا — على الشعر الأجنبي، إما بلغته الأصلية أو مترجماً إلى لغات أخرى يعرفها، ومع ذلك بقي دون أي تأثير بما قرأه. وحسب تعبيره: بقي شعره لا يتزأ إلا بالزّي العربي الأصيل.

وبالنسبة لي، هذه مناسبة مهمة جداً لكي أطرح عليه سؤالاً يهمني كثيراً وهو، أن كلامه هنا، يشير إلى أن هناك زياً عربياً أصيلاً للشعر، كأنه يبدو كجوهر ثابت، فهل فعلاً هناك زّي عربي أصيل للشعر ثابت؟..

وعلى سبيل التبسيط أقول مثلاً:

إذا أخذنا عمر بن أبي ربيعة وأخذنا أبا العلاء المعري وكل منهما يختلف عن الآخر كلياً، فأين نجد الزّي العربي الأصيل، في المعري أو في عمر بن أبي ربيعة أو في كليهما؟ أريد أن أستفهم حول هذه المسألة.^(١)

(١) نفسه، ص ٢٨٣-٢٨٤ .

أحمد عبد المعطي حجازي

علينا أن نخرج أنفسنا من هذه المتعة واللذة اللتين أغرقنا فيهما الأستاذ سليمان العيسى لكي نطرح بعض الأسئلة أو نتساءل بيننا وبين أنفسنا حول بعض المفاهيم التي عبّر عنها الأستاذ العيسى: هذه الخصوصية أو الالتزام، وإن كان هو لا يحب المصطلح، الذي نجده في شعر الأستاذ العيسى كونه شاعراً قومياً، ماذا يفرض عليه هذا الاختيار من الوجهة الفنية؟..

هل يكون الشاعر قومياً لأنه يعالج موضوعات قومية؟..

وهل يكون قومياً لأنه يتكلم عن الوحدة العربية؟..

وماذا يجب عليه أن يقول في هذا الموضوع؟..

هل يكون قومياً عندما يعبر عن انحيازه لقضية الوحدة العربية ولا

يكون قومياً عندما يرفض هذا الشعار مثلاً؟..

هل يكون قومياً بفكره والتزامه الأخلاقي والسلوكي والسياسي أو

هو قومي بشعره، وقوميته بشعره؟..

هل تتعدى صياغة أفكاره صياغة شعرية إلى الاختيارات الفنية التي

تفرض عليه مثلاً لغة دون لغة، أداة دون أخرى؟..

لقد تحدث مثلاً عن أنه، بالرغم من ثقافته الأدبية الواسعة في

اللغات الأجنبية، ظل شعره ينبع من أعماق الصحراء، وقد فسر ذلك

بأنه لم يستفد من الأسطورة الأجنبية كالأساطير اليونانية والبابلية والفينيقية إلى غير ذلك.

هل تعتبر الاستفادة من الأساطير الأجنبية ضد الشعر القومي؟..

وعندما كان يتحدث ابن الرومي، على ما أذكر، عن عطار:

عطار السماوي المكنان أبونا حين نسبتهم أبوهم

وعطار عند الآراميين هو إله الفن والشعر وهو الذي كان يقترحه

العقاد اسماً لمجلة أبوللو ويرفض أبوللو لأن أبوللو اسم يوناني وهذا

قريب من الموقف الذي يتحدث عنه الأستاذ سليمان العيسى.

وحول مسألة الواقعية الجديدة، ماذا يقصد بالضغط الأستاذ

سليمان بقوله: إنه قد عبر مختلف المدارس الفنية من الكلاسيكية إلى

الرومنظيقية إلى الرمزية ولكنه لم يتأثر بالسابقة كما تأثر بالواقعية

الجديدة؟^(١)

(١) نفسه، ص ٢٨٤ .

جعفر ماجد

هي علاقة قديمة بشاعرنا الأستاذ العيسى منذ أيام الدراسة، فقد كنا نردد أشعاره ونتغنى بها في الخمسينات والستينات.

فلسطين العيسى في نظري، ظاهرة غريبة لأنه يمثل نموذجاً فريداً من الشاعر الملتحم بالجمهور في القرن العشرين، وقد كانت الجماهير العربية تهتز لسليمان ولأناشيده في الاذاعات، وكانت تقرأ بلهفة متزايدة، تلك القصائد اللاهبة التي تأتينا من حين لآخر.

وذاث يوم، تغير وجه العالم العربي وتغير معه وجه سليمان العيسى. أقول: تغير، حتى لا أقول إن صوت سليمان العيسى يكاد يختفي. أنا أؤمن بصدق تجربته وأصدقته حين يتحدث عن الأطفال رجال المستقبل ولكني أسأله: لماذا لم يحدثنا عن هذه التحولات الفكرية؟.. هل حدثت أشياء أهمتها في عرضك فرضت عليك أشكالا معينة وأغراضاً أدبية معينة؟.. هل هذه الأحداث التي جذت في العالم العربي هي التي صرفتك عن الجمهور الكبير إلى جمهور الأطفال؟..

إن الكبار أصبحوا لا يهتزون للأغاني التي كنت تغنيها لهم من قبل، بمعنى.. هل هرب عنك الجمهور أم أنت ابتعدت عنه؟..^(١)

(١) نفسه، ص ٢٨٥ .

سليمان العيسى مجيباً

ليس الموضوع أن نتحدث عن الوحدة العربية مطلقاً. أنا لم أتحدث عن الوحدة العربية إلا من منطلق واحد، طفل ينتزع من أحضان بيته القرميدي، كما قلت، وهو في العاشرة، يحرم من بيته وأمه وأخيه. أرجع إلى قريتي بعد ثمانية وعشرين سنة. أزورها مرة واحدة. أخذ معي أطفالي تخرج القرية كلها لاستقبالني.

أول سؤال يطرح علي: من هذا؟.. أول شخص يعانقني ويقبلني. يقولون لي: من هذا؟.. أجيب: آسف لا أعرف.

يقولون لي: إنه أخوك تركته وهو في الثامنة من عمره. أصبح رجلاً وله أولاد.

- ومن هذه الثانية التي عانقتني؟..

- هي أختي الوحيدة..

أليست هذه مأساة في حد ذاتها؟.. هل يلومني أحد إذا تحدثت عن همي القومي بعد ذلك...

هل هذا حديث عن الوحدة العربية؟..

هل يمكن أن تكون الوحدة العربية غير هذا السؤال الذي طرح علي: من هذا، فلا أعرف، فإذا هو أخي، حرمني منه لا أدري من، سئمه الاستعمار، سئمه الاستغلال، سئمه الكوارث التي محقتنا

وسحققتنا، لا أدري ماذا أسميه. كل ما هنالك هي أنني عشت هذا الواقع وعاشه كل منكم..

لا أزال تطفر الدمعة من عيني عندما أقرأ بعض مذكرات إخوتنا التونسيين، عندما كان الدرك الفرنسي يدخل إلى بيت الفلاح التونسي هنا، ويجلد الرجل أمام زوجته، والزوجة أمام رجلها، والأولاد والأطفال أمام أهلهم، ويخرج من البيت بعد أن يهينهم ويقلب كل شيء. كيف تتصورون وضع أسرة من هذا النوع؟..

وقد قرأت الكثير عن ذلك في تونس وفي الجزائر وفي المغرب وفي المشرق وفي كل مكان.

في فلسطين طبعاً جرحنا الأكبر، وأنا أتحدث عن محتتي الأولى، عن لواء اسكندرون، لأن الجرح الصغير قد زاد في الجرح الكبير بعد ذلك عندما جاء الخنجر الرهيب في صدر هذه الأمة — خنجر فلسطين. المأساة واحدة!

الدرك الذي كان يجلد الأسرة التونسية، والدرك الذي كان يجلد الناس في قريتي، هو نفسه الدرك الأجنبي.

هو الصهيوني الذي يأتي من أعماق أعماق بولونيا أو الأرجنتين ليحتل بيت أحد أصدقائي في طول كرم أو في غرة.

أحد زملائي في جامعة الأردن يقول لي:

أنا أشتهي أن أزور بيتي الذي يحتله الآن واحد من بولونيا. هو

نفس البيت، نفس الفراش الذي كنتُ أنام عليه، وأنا أحسُّ أن أزوره وأراه فقط، لأنني لا أستطيع أن أستعيده..

أليست هذه قافية لأن تكتب شعراً قومياً؟..

ثم ما هي القومية بعد ذلك إذا لم تكن كل هذه المآسي والمحن؟..

- الواقعية الشعرية الجديدة، ذكرتها عرضاً. أنا شخصياً متأثر بها كثيراً لأنني وجدتها الأقرب إلى التعبير الذي أريده في هذه المرحلة، هذا المزيج من همك تضيغه إلى الواقع، هو الواقعية الشعرية التي استفدتُ منها كثيراً.

- وبالنسبة إلى الشعر الأجنبي: أنا تأثرت، وأنا تلميذ، بالشعر الاجنبي بمقدار ما تأثرت، وأنا تلميذ، بالشعر العربي أيضاً.

لوركا لا يزال يهزني كلما قرأته منذ ربع قرن إلى الآن، ولكني قلت: لم أشأ أن أترها بغير الزي العربي. تأثرت كثيراً بالشعر الأجنبي، وأنا مدين له بكثير من الصور والأفكار، حتى الانفعالات التي أخذتها. لوركا مثلاً، مايا كوفسكي، لكني كنتُ مصرّاً دائماً على أن أنفس برئتي كما قلت، وأن أعيش بأعصابي.

والمسألة الثانية:

فنية القصيدة: هذه مشكلة عانيتُ منها الكثير.

كيف أحرص على فنية القصيدة وعلى النبضة الغامضة الخفية في جوهر الناس؟..

الحقيقة أنني كنتُ أشعر أنني أكتب شعراً يضيء فيه بكثير من الفن
عندما أريد أن أصل إلى قلب هؤلاء الناس الذين نحبه.

أجد كثيراً من الحرج في ذلك، وما أزال أعزّي نفسي عن هذا
كله، بأن الشعر لا يهمّني، وإنما تهمني القضية.

أن يموت شعر آخر لا يهمّني لكنّ بهمّني ويؤرقني أن تموت القضية
وأن يموت الحلم الذي عشت من أجله..

[أما عن الالتحام بالجمهور فأنا] كما صورت نفسي وعزّفتها:

خلية في جسد كبير، أما الكلمة، فليس من الصعب أن تلتحم
بالجمهور، لأنني عرفت الكلمة عندما تتحول إلى جزء من سلوكنا
اليومي.

أنا لا أتصور أن أتكلّم شيئاً وأعيش شيئاً آخر، الكلمة هي
الإنسان^(١).

(١) المصدر السابق، ص ٢٨٦-٢٨٧ .

أُقاتِلْ بِاسْمِكَ الْعَرَبِيَّانِ

«إلى وطني العربي الكبير...

أنت... عشرون وطناً... وخنجر

وأنا...»

أشدُّ عليك.. والخمسون تركضُ في دمي رَهَقًا

أشدُّ عليك.. بجحراً تُنبِئُ الواحات محترقا

أشدُّ عليك.. قافيةً وموسيقى.

ورمزاً بأكلُ العتماث..

يصلب نفسه في الشمس.. عين الشمس.. تحديفا

أشدُّ عليك يا هتمي العظيم، يا ارتعاش يدي

إذا صافحت، يا شفتي إذا حدثت، يا جسدي

أشدُّ عليك يا وطني الكبير.. أعيرك الحدقا

لتركض في عيوني، في دمي، في نبرتي، رَهَقًا

أشدُّ عليك.. في الخمسين.. طفلاً يكبُرُ الألم

وتكبر أنت.. والحلم

على قرميد ضيقتنا.. هو الحلم

كأنني ما أزالُ على فمِ «العاصي» تراتيلا

أَجْرُبُ أَنْ أَدُقَّ عَلَى الْمَحِيطِ فَصِيدَنِي الْأُولَى
وَأُنْشُرُ نَارَ قَافِيَتِي عَلَى الْيَمَنِ
وَأَسْمَعُ فِي الْخَلِيجِ دَوَى أَحْلَامِي وَيَسْمَعُنِي
أَنَا الطِّفْلُ الَّذِي مَا زَالَ يَكْبُرُ فِيكَ مُخْتَرِقًا
فَخُذْ حَذَقِي لِأُبْصِرَ فِيكَ، وَانْكِزْ فِي دَمِي رَهَقًا.

أَشْدُّ عَلَيْكَ.. وَالنَّاعُونَ فَوْقَ سَرِيرِكَ الْأَزْلِيِّ
أَذَابُوا فِي أَغَانِي الْمَوْتِ، مَوْتِكَ حَبَّةَ الْمُقَلِّ
أَقَامُوا الْعَرْسَ بَعْدَ الْعَرْسِ، بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْقَبْرِ
نَفْوِكَ مِنَ الضِّفَافِ، مِنَ الصَّحَارَى، مِنْ مَدَارِ الْحَرِّ وَالْقَرِّ
وَمَا هَاجَرَتْ مِنْ جَسَدِ الرَّمَالِ الشُّمْرِ، مِنْ جَسَدِي
وَمَوْتِكَ كَانَ أَكْبَرَ مِنْ مَقَابِرِهِمْ
وَأَصْلَبَ مِنْ خَنَاجِرِهِمْ
وَأَشْمَرَ مِنْ جَمِيعِ خَصَائِدِ النَّاعِينَ فِي الْبَلَدِ
فَخُذْ حَذَقِي، أَشْدُّ عَلَى ثَرَاكِ، أُعِيرَكَ الْحَذَقَا
لِنَرَكُضَ فِي عَيْوَنِي، فِي دَمِي، فِي نَبْرَتِي رَهَقًا.

أَشْدُّ عَلَيْكَ... يَا حُلَمًا أَشْدُّ حَقِيقَةً مِنِّي
وَمَنْ جَفَنِي الَّذِي سَهَرَتْ بِهِ الرُّؤْيَا، وَمَنْ فَنَنِي
أَشْدُّ عَلَيْكَ.. وَالْخَمْسُونَ تَهْتَفُ بِي

تناديني من الاعماق
تمزق كل ما بيني وبين الحب من أطواق
ونسكب في لهاني فنجرك المسروقة يا وطني
وفي عينيك تتركني
وميضاً منيراً، شلال معجزة بلا زمن
بلا وعد أجيء، أجيء، أفجأ دورة الحقب
وأسقي الأرض، أسقي الأرض، خمرة وحدة العرب

خذوا شعري، فلست أنا الذي يبكي على لَقَبٍ
ولكنني سأكتب بالضباب، وبالتراب، وبالدم
القاني، وباللهب،
ولكنني سأبكي بالأظافر، بالسلاح، بكل جارحة على العرب
على أن يخرج العربي قبل جميع من خرجوا من الكفن

أشدُّ عليك في تشرين تُحمي دونك الأبعاد
وتخترق الصحارى والحدود، وبلتقي أهلي بلا ميعاد
وتسقط كل أفتعتي
وأكتب بالدم العربي في الجولان أغنيني
وأعبر، أعبر الماء الذي خزوا به رثتي
وقالوا: أنت أشطار

وقالوا: مصرُّ لا عرب، ولا قُربى، ولا دارُ
ومصرُّ ككونس، كظفار، كالقرآن من جسدي
أختار؟

أضوء الشمس، نبض العرق، لون العين، يُختار؟
تحدني يا صلاتي الليل، والتابوت، والغرقا،
وشدني على الصحراء سيفاً يحق العنات، مُخترقا

• • •

كلام طالما قلناه.. سوف نقوله أبدا
سنخفره على حجم اللسان، وحجم كل خلية نستوطن الجسدا
على حجم الطفولة والشباب، وتمتات الجرح والألم
وحجم قصائد الغزل التي تلقى على الرثم..
أنا الآن.. أنا ابن القهر.. بابس عروق يدي
وأخزن في دمي بخرية الماضي ويرغ غدي
أنا الآن.. أنا العربي
سوف أقولها أبدا

سأخفها على حجم اللسان
وحجم كل خلية تعرف الجسدا

• • •

نُقلت على صليب النار من سور إلى سور
وكنث رماد (هولاكو)

وكنْتُ ذبيح «بلفور»

وكنْتُ...

سَلُّوا دَمِي الْمَسْفُوحَ

سلوه: كيف أنبتني

على قبر الغزاة مرارة حضراء من نجد

يظل شميئها يَهْدِي . على ظمأ

ويستهدي.

وكيف بقيت يا وطني

مآذن للبروق.. لشمخة التاريخ، للنور

ومن درس يؤ الغزو في جسدي إلى درس

وأبقى لون انطاكية

في جبهة القدس

وأبقى لونه غار جراء

على الأرز العتيق..

على صبا بردى

على سيناء

وتبقى الفارس العربي مَضْلُوباً ومقتولا

تمدُّ يديك يا وطني

بكل كنوزك الأولى

بكل هباتك الأولى

بكل كؤوسك العربية الأولى.

...

أشدُّ عليك.. يا رمزاً كلحمِ الصبحِ عربانا
بِحجرِ طفولتي سأظلُّ أكتبُ فيك عطشنا
وأشربُ منكَ الأوحْدُ
وأوجدُ حيثما تُوجدُ
أسافرُ تحتَ قَبْطِكَ التي تعبثُ من السَفَرِ
بلا زادٍ، بلا مأوى، بلا سقفٍ، بلا جذرٍ
أسافرُ فيكَ يا سفري
أُغلِّقُهُ هذه الدنيا.. وما فيها

بجذعك، جذع نخيلِكَ التي نَبَيْتُ أعالِها
وما برحتُ تشدُّ لجذورها عَظْمي وعَظْمَ أبي
وتحيلُنِي على موجِينٍ مِن عطشٍ ومن غضبٍ
وتحفِزُ في جبين الكوكبِ المتمردِ التَّعِبِ
تباشيري أنا الآنِي من النسيانِ..
من زلزلةِ الحَقْبِ
تباشيرِ اسمي العربي.

...

... أطوفُ على الصعاليك الذين مَشَوْا على كفني
وأسقيهم.. لتبدأ رحلةُ الإنسان

من كَفَيْكَ يا وطني...
 وأَكْبَرُ أَنْتَ..
 أغنى أَنْتَ
 أخصَّبُ بالعناقيد
 بأسرارِ الضياءِ، بكلِّ أشواقِ الأغاريدِ
 ألودُ بأُمتنا الصحرَاءِ،
 وأحْمِلُها نبيذاً عَتَقَتْهُ الأرضُ في الأرجاءِ..
 أقاتِلُ باسمِكَ العرَبانَ يَهْزُمُ كُلُّ أسطورةٍ
 ويحزنُ كُلُّ برقي الغيبِ
 ليوكِّدَ في حنايا الغيبِ
 محيَاكَ الذي يسقي العطاشَ السيفَ والسورةَ
 أقاتِلُ باسمِكَ العرَبانَ
 لتبدأَ رحلةَ الإنسانِ
 وأكتبُ أكتبُ الأشعارَ
 ويبقى نَبْضُكَ الجبَّارَ
 بناهبيعي وملحمتي
 وسرُّ النارِ في شفتي
 أشدُّ عليك يا هَمِّي العظيمَ، أعيذكَ الحدقا
 ويومَ تَعُودُ... تحمِلُنِي، نشيداً فيكَ مُخْتَرِقا

يا موكبَ النور

ألقيت في مهرجان عربي كبير في حلب

يلفأك بالدمع، دمعِ الثورةِ النغمُ
يا أمة... في الزنود السمر تبسمُ!
هتفتُ بالشعر.. فانهالت على شفتي
خُطى الضحايا.. ومات الشعر، والكلمُ
ورحلتُ ألمها في الدرب، قافلةً
عطشى، تصارعُ فيها الفجرُ والظلمُ
تشدُّ بالكيدِ الجوعان.. تُخطوئها
وبالعقيدة، لا شكوة، ولا سأمُ
مدُّ الطريقِ إلى الأشلاءِ نظرته،
إلى الدماء... فكان البعثُ، والألمُ

* * *

هتفتُ بالشعر... أستقبه قافيةً
حمراء.. فانفجرت في أضلعي الحممُ
ولاح موكبي الماضي.. بجبهته
غضُّ القيود، ولشعُ السوطِ يرتسمُ

ومزني في حديد السجن قهقهة
 من الرفاق.. عليها الموت ينحطم
 واللعن في دم الأحرار، طاغية
 ما زال من شبح الأحرار ينهزم
 وعامل.. أسمر الزندين.. منتفض
 في كوخه ما يشاء البؤس والعدم
 وقبضة، فوق محراب، مُشَقَّة
 حصاؤها الجوع، بعد الكد، والسقم
 وناهب، ورم الأوداج، أفقده
 بقية الرشيد.. أن يستيقظ «الخدم»
 هتفت بالشعر، فازور الهوى خرداً
 وناء تحت هزيم اللفظة القلم
 وأطرق السوتر الهدأ.. لا ظمأ
 الى النشيد بعيني، ولا نهم
 وتمتمت همسة في الصدر محرقة:
 متى — وقد هُيئت الميدان — نلتحم؟

يا موكب النور.. من آلام أمتنا
 ودمعها، ودماها، وهي تفتح!

أَيُّ الْأَمَانِي عَلَى جَنْبَيْكَ هَادِرَةٌ
وَأَيُّ عِبٍّ عَلَى مَتْنِكَ بِزِدْحَمٍ؟
رَافَقْتُ دَرِيكََ طِفْلاً، وَالْهَوَى لَهَبٌ
وَالدَّرْبُ.. فِي كُلِّ خَطْوٍ شَوْكَةٌ، وَدُمٌّ
رَافَقْتُ دَرِيكََ.. لَمْ نُخْطِئْ رِسَالَتَنَا
يَوْمًا.. وَلَمْ نَجْتَرِخْ فِي الْعَهْدِ مَا يَصِيحُ
مَا زِلْتُ أَذْكُرُهَا فِي الشَّامِ قَافِلَةً
مِنَ الْجِياعِ.. وَمَا زَالَ الرَّفَاقُ هُمٌّ
نَامُوا عَلَى الْأَرْضِ أَرْضَ الشَّعْبِ فَامْتَزَجَتْ
بِلَحْمِهِمْ ثَوْرَةٌ فِي الشَّعْبِ تَحْتَدِمُ
وَعَضْنَا الْجَوْعُ.. فَاقْتَنَّا بِبِسْمَتِنَا
وَهَدَّنَا الْبَرْدُ.. لَمْ تَرَعِشْ بِنَا قَدَمٌ
هَذِي الصَّخُورُ.. سَلَكْنَاهَا عَلَى ثِقَةٍ
أَنَا عَلَيْهَا — وَلَمْ نَتَذَمَّ — مَنَنْحَطِمْ
لِلْيَقُولِ الْعُلْدِ.. عَهْدٌ فِي سَوَاعِدِنَا
أَنْ لَا يُرَدَّ.. وَفِي سَاحَاتِنَا «صَنَمٌ»

...

يَا مُرَكَّبَ النُّورِ.. غَاظَ اللَّيْلَ مَطْلِعُنَا
وَأَتَلَقْتُ رَأْسَهَا مِنْ قَبْرِهَا الرُّمَمِ

الناعقون وراء الركب.. هل لَهُم
 أن يَفْتَحُوا الدربَ للأحياء.. هل لَهُم
 نحن الذين كَسَرْنَا «القيدَ» عن فمِهِم
 حتى تحرك من بعد الهمود.. فَمُ
 الناسجون بدمعِ الشعبِ بُردَهُم
 والناحتون بِغُزَي الكوخِ قَصْرَهُم
 والناصبون حدودَ الله «مَضِيذَةً»
 وبهيمِ الفقرِ في يأسٍ: أَمَا تَحْمُوا؟
 ولو تَنَبَّه مسلُوبُ لسارقِهِ
 من الأيَّامِ، ومن أيتامنا، رُجُّوا!

يا موكبَ النور.. لن نَلْوِي أَعْيُنَنَا
 فاهِذِ.. مُنَى الجبلِ في جنبِكَ تضطرمُّ
 الكأسُ.. عاملنا الظلامي سيرشَفُها
 والظلُّ.. فَلَاحْنَا الضاحي سيقَتَسِمُ
 ونحن من شاطروا الأنعامَ مَرْقَدَهَا
 في الطينِ.. نحن صباحُ الثورة الأَمَمِ
 انظُرْ.. فما انتثرَ في الريحِ زَمَجَرَةٌ
 ولا محا الشمسَ لما أشرقتْ غَمَمُ

السالحون جلود الشعب.. أفقدتهم
 بقية الرشد.. أن يستيقظ «النعم»
 وأن يمشي «عبيد الأرض» طاعتهم.
 وأن تحول عن الأعناق رجُلهم
 ويرفعون قلاع البغي شامخة
 كُلُّ القلاع — وإن عَزَّتْ — ستهدم

ويهمس الساعد المعروف في وطني:
 حتى مَ تَلْثم رجل الذابح القنم؟
 حتى مَ تبقى «قباب الطين» مقبرة
 وأسرني.. أسرتي في جوفها رَدَم؟
 الى متى يتغذى الداء مرتعشا
 طفلي ومن قبضتي الرزق والنعم؟
 والأرض.. أرضي التي نضرتُها بدمي
 أليس لي في زوايا جفنها حُلُم؟
 نحن الحُفَاء.. لنا في الشمس حُشُنا
 في النور، في الثُرب في العرش الذي اقتسموا
 لنا رغائب.. لو شَقَّتْ مقابرها
 تعطر السفح بالإبداع.. والقنم

نحنُ الحفاة... أضأنا الأرضَ مَسْرُجَةً
على الكفاف.. وصُفنا الدهر.. لو عَلموا

...

ما حاملي النير... من أفلاذِ أمتنا
في العيش، والموت حُلُوا.. إننا لَكُمُ
الشائرون... بكفِّ مهجة تُذِرُ
ضحية.. وبكفِّ زمجرٍ.. قَسَمُ
الصَّامدون... وغيرِ الحبِّ ما حَمَلُوا
والناقمون... وغيرِ الظلم... ما نَقَمُوا
وتملأُ البغي والأصنامُ صِحتنا
رُغْباً.. فنُقَذَفُ بهتاناً، ونُثَمُّ
ونَهْدِرُ الزورقُ النشوانُ منطلقاً
وَيَلْعَقُ المبرجُ جنبه، ويلتطيمُ

...

ما حاملي النير... آلامُ رسالتنا
وشهقة، وجراحُ ليس تُكْتَتَمُ!
ما راعنا «قزَم» في الدربِ منتصب
قريئنا من تَمَطَّى — باسمِهِ — «القَزَم»
لنا، و«للغاصب» السفاحِ مَلْحَنَةٌ
خَضَمُ الفريسةِ فيها البارُ والرَّخَمُ

لِلْيَغُولِ الصُّلْدِ عَهْدٌ فِي سَوَاعِدِنَا
أَنْ لَا يَغْرُو.. وَفِي هَذَا الثَّرَى (صَنْمُ)

٨ تموز ١٩٥٤

أُنشودة السَّفر

صدى حديثها الدائم عن رحلة طويلة

أَحْلُمُ بالسَّفَرِ
خَلْفَ الغُيُومِ، والشُّجُومِ، والقَمَرِ
خَلْفَ رَذَاذِ المَوْجِ والمَجْدَافِ
وَرَاءَ هَذَا الصَّخْرِ والهَجِيرِ والجَفَافِ
إلى بِلَادٍ يَنْزِلُ النَّاسُ بِهَا المَطَرُ
مُعَاطِفًا لِمَنْ يُحِبُّونَ..
يُغْتَنُونَ إلى السَّخَرِ
وَيَمْشُرُونَ اللَّيْلَ والنَّيْبِذَ، والوَتَرَ
وَيَرْقِصُونَ أَيْنَمَا شَآؤُوا.
يُغْتَنُونَ إلى السَّخَرِ.
يا شاعري.. أَحْلُمُ بالسَّفَرِ

أَحْلُمُ بالحِياه كالرَّبِيعِ. كَالهُوَى
تنداح، لا أسوار للقلب، ولا كُوى
يَطْلُ منها عَطَشُ الصَّبَاخِ

يمشي بالشوك والجراح
يا شاعري.. أحب أن أطيّر
بي ظمأً الى غيوم تنسج المصير
تقلني في رحلة غامضة الشرى
أذوق فيها لذة الهوة والذرى
أغتصر الدنى
أكون ما أنا
أحلّم بالسفر
يا شاعري، أحلّم بالسفر

• • •

غصنفورة الرمال، والنخيل
تندرنني... تحلّم بالرحيل
ويطرق الوز
وتتمشى رعدة كالليل، كالضجر
تلفني، كالصمت، كالقدر
لا صوت لا أثر
لا همسة تورق في دربي ولا خبر

• • •

طيري وراء الموج والضباب
أعرفها عاصمة الشباب

دقت بقنصين من جنون
نوافذي ومرت السنون
وكان ردي يعرف الصباح
في مقلتيك قصة الجناح
مرء على الوجود وارتمى
بشدّه لطيفك الغلما
يقبل الحرف الذي حمل
صلاته إليك في خجل
يا حلم الريشة والوتر
إنّا معاً ظلال للقمز
إنّا معاً روحان في سفر

غرائر خولة

تعيشُ في شَفَتِي وَخَبَأَ، وفي خَلْدِي
ماذا لو انشَكَبَ الشَّلَالُ فوقَ يَدَي؟
أَلُمُّهَا في خيالي.. كُلُّمَا شَرَدْتُ
وَأُتْرِغُ الكَأْسَ من نَوَارِهَا الفَرِدِ
قصيدةُ اللهِ.. لم يُبَدِّعْ أَرْقُ سَنًا
وَوَقْدَةُ الحُبِّ.. لم تُخَطِّرْ على كِبِدِ
أُحِبُّهَا، أتملى لَحْنَهَا عَبَقًا
ينهلُ مِنْ دمي، نِرتاجُ في جِسْدي
وَأَعْبُرُ الزَّمَنَ السَّامِسي بِخَافِيَةٍ
لَأَلْتَقِيَ مَعَهَا في شُرُوفِ الأبدِ
غريزةُ كَدُمُوعِ الفَجْرِ، رائحةُ
كَدْفَةِ الوُخْيِ.. فَكُفْتُ بِدَا رَصدِ
نَشْوَتِهَا في خيالي أَلْفَ سَاقِيَةٍ
وَجَذَوَلْ بِحَنِينِ النُّورِ مُتَقَدِ
أرسلتها خُضْلًا ظَلْمَايَ مُرْفَرَفَةً
وضعتُ في غَابَةِ مجنونَةِ الغَيْدِ
ورُخْتُ أنسُجُ ضوءَ الشمسِ أغنيةً

وأملأ الأرض بالنغمى وبالرغد
 إذا تموجت في المِرْأَةِ ذاتِ ضحى
 يا غابة النور.. يا شلاله الأبدى
 ضمتي يدّيكِ على قبْشارَةٍ ولدت
 مع الربيع.. ولحن للربيع صدي
 ضمتي يدّيكِ.. أسْلِمِلْ في عبيرهما
 زواجع اللّه من شغري، ومن سَهدي
 لي مرفأَن وراء الغيب.. عندهما
 ألقيتُ يومي، وأُتسي، والهوى، وغدي
 بُخَيْرَتان..

وزادي من صفائهما
 لَمَح، وأغنية عَضْماء
 لم أزد
 قصيدة أثبت..
 أغفني عند شاطئها
 على شعاع...
 على حلم..
 أضم يدي..

القريبة ومني

إلى صديقة الشاعر «مني» بعدة رسالة وغياب
من قربتها النائمة في حضن الجبل

حلّو كالْحُبِّ عِتَابُ مُنَى!
أهلاً بخيالك... طفلتنا
يا للذُّكْرِى.. تَطْلُوِي الزَّمَنَّا
وَتُجَدُّ شَطْرًا... من عُمرِي!
أَيَّامَ عَصَفْنَا... فِي الدُّنْيَا
لَهَبًا، وَرَغَائِبَ مِنْ جُمُرِ
أَيَّامِ تَصِيبَانَا الْجَبَلُ
وَالْخُدُّ الْأَسْمَرُ، وَالْفَزْلُ
وَلِيَالِي الْقَرْبَةِ، وَالزُّجْلُ
إِذْ تُبَدُّهَا عِنْدَ الْعَصْرِ
وَبُضَيْعُ الْمَوْكَبِ فِي عُرْسِ
وَلِشُكْرِ بِصَحْوٍ مِنْ شُكْرِ
بِالرُّوحِ... صَبَابَاتُ نَشْوَى
خَفَقَتْ بِالْحُبِّ.. كَمَا نَهَوَى
كَانَتْ، بَلْ مَا زَالَتْ مَلَوَى

لكفاح، مُلْتَهَب، مُر!
 خُضْنَاهُ، فِي الشُّوكِ الدَّامِي
 ثَوْرَاتٍ جَرَّاحَاتٍ حُسْرِ
 فِي كُلِّ مَطْلَعٍ أَوْ دَرْبٍ
 أَصْدَاءُ.. مِنْ مَرْجٍ عَذْبٍ
 وَخِيَالٍ.. بِوَيْءٍ لِلْمُخْبِ
 أَنِّي.. لَمْ أَقْوِ عَلَى الْهَجْرِ
 عَوْدُوا.. فَالْقَرْيَةُ بِعَدَّكُمْ
 قَدْ أَزْهَقَهَا.. صَنَعْتُ الْقَبْرِ
 مَضَتْ الذِّكْرَى.. عَامًا، عَامًا
 وَبَقِينَا فِيهَا.. أَنْخَامَا
 قِصَصًا لِلْمُخْبِ.. وَأَحْلَامَا
 بِالرَّيْفِ وَفَتْنَتِهِ، تُغْرِي!
 قِصَصًا.. لَا تَبْلَى جَدُّهَا
 أَتَقْبَلِي.. وَهِيَ صَبَا الدَّهْرِ؟
 أَصَحِّحُ أَنَّ مُنَى فِتْنَةٍ؟
 قَدْ فَتَحَ نَضْرَتُهَا الرُّمْنَ
 وَافْتَرَّ عَنِ الْوَزْدِ الْفُصْنَ
 وَمَشَى لِلرَّوْضَةِ بِالسَّرِّ
 فَإِذَا الْحَسَنَاءُ.. مَلِيكَتُهَا

وأميرة أحلام الزفر
أصحيح حسائي عتب؟
وجفاء الشجر هو القنب
في ضيعتها.. ولذ الحب

وترعرع.. في القمم الشجر
وحيال النبع. عرفت الوحي
— وفوق ملاعبه الخضر

قسماً.. بغداد البرك السود
عنقود.. لاذ بعنقود
وبرفتها.. فوق الجيد

خضلاً تتعطف في كبر
لم تبرخ أطياق الماضي
أغرودة شوق.. في صدري

لم أنس الضيعة.. والسفحا
نخطف.. لنحاً.. لنحاً
وخطانا.. تستيق الضبحا

ونظير.. بأجنحة الفجر
لنوافيكُم... بقصائدنا
ولشكير.. آلهة الشعر

ويمور البيت الحلو بنا

وَتَجَاذِبُنَا الضَّحَكَاتِ .. مُنَى
 وَتُعْرِضُ كَأَمْسٍ .. فِي يَدِنَا
 وَتَضْيَعُ .. بِمَشْوَتِهَا الْبِكْرِ
 فَإِذَا الدُّنْيَا .. نَعَمَّ عَذْبٌ
 مِنْ ثَغْرِ طَارٍ .. إِلَى ثَغْرِ
 لَمْ أَتَسَّ اللَّيْلَ .. وَقَدْ جُئْنَا
 بِمَلَاحِمٍ .. رَدَّدَهَا .. عُنَا
 وَصَدَى «الشَّبَابَةِ» هَلْ رَنَا
 أَخْلَى مِنْ عَاصِفَةِ السَّحَرِي؟
 أَوْ هُذَيْدَ يَوْمًا سَمِعَ مُنَى
 بِأَرْقٍ، وَأَنْدَى مِنْ شُعْرِي
 أَسَأَلْتُ الْوَادِي الْمَسْحُورَا
 وَالْعِطْرَ عَلَيْهِ مَنْشُورَا
 وَالذُّرُوءَ لَمَلَمَتِ النُّورَا
 وَالْأُفُقُ كَشَفَشَعَةِ الْخَمَرِ
 أَفْتَبِضُّ، ثَمَّةً، نَابِضَةً
 إِلَّا لِتَرَدُّدٍ فِي صَدْرِي؟
 أَشْتَأُقُ الْقَرِيبَةَ، وَالرَّيْفَا
 وَأُجِبُّ مَنَابِلَةَ الْهَيْفَا
 وَالزَّهْرَ يُفَوِّقُ تَفْوِيفَا

غَطَفَاتِ الْجَذُولِ، وَالنَّهْرِ
 وَالْغَابَةِ تَشْخَصُ مِنْ بُعْدِ
 كَاللُّجَّةِ فِي قَلْبِ الْبَحْرِ
 أَفِيذُكُنَا رَاعِي التَّلْ؟
 وَخِرَافُ تَنْتَمُ بِالظِّلِّ
 أَوْ تَوْقَى الْهَضْبِ عَلَى مَهَلٍ
 فَتَلَوُحُ لَالِيءٍ فِي نَحْرِ
 وَتُغْنِيهَا فَتَرَى فِينَا
 رُغْيَانًا أَغْرَقَ فِي الْقَفْرِ
 وَيَمُرُّ كَعَلَيْفٍ لَمَّاحٍ
 فِي الرِّبْوَةِ مَسْزُولٍ فَلَّاحٍ
 يَهْوِي بِجَبِينِ نَضَّاحٍ
 فِي الْأَرْضِ الْبُورِ وَفِي الصَّخْرِ
 وَيُقَطِّرُ مُهْجَتَهُ عَرَقًا
 لِشُضِيِّ ثَرْبًا فِي قَضَرٍ
 أَفِيذُكُنَا.. يَوْمُ الْعِيدِ؟
 وَ «الدَّيْكَةُ» بِنْتُ أَنَاشِيدِي
 وَالْبِيدَرُ.. رُصِّعَ بِالْغِيدِ
 وَأَذَلُّ بِهِنَّ عَلَى الزُّهْرِ
 هَلْ كُنَّا نَرْقُصُ بِوَمِيدِ

أم نَسْبَحُ في ضوءِ البدرِ؟
 أحلامٌ زاهيةٌ أبدا
 عاشتْ لَهْباً فينا، وتَدَى
 وتركناها لَحْناً غَرِدا
 وحياةٌ ضاقتْ بالأشْرِ
 فمَضَتْ لتفجّرَ قُورَتِها
 في أحضانِ الجَبَلِ الوَغْرِ
 سنعودُ إلى التُّبَعِ الصافي
 ونسيرُ مَعَ الراعي الحافي
 بأريجِ العِطْرِ الهَفْهَفِ
 لن نُحْطِمَ أَغْلالَ الشَّرِّ
 سنعودُ لِنَبْداً قُورَتِنا
 في كوخِ الحُطَّابِ المُزْرِ

أمشي.. وتناين

انشدت في مهرجان الشعر الخامس الذي
أقامه اتحاد الأدباء والكتاب العرب بصنعاء..
في ١ - ١٢ - ١٩٨١

قال شاعرنا العربي القديم:

«لا بُدَّ من صنعاء.. وإن طال الشَّقر»^(١)
ماذا من الشَّهقة الحمراء أختزن؟
أمشي وتناين يا صنعاء، يا عدن
تَقْصِفَ العمرُ في جفني وفي شفتي
وما تزال وراء الدمعة اليسر
أمشي وتناين.. هل كان الهوى عبثاً؟
وهل تلازم في السَّيِّئ والكفر؟
أمشي.. وتناين.. يا للْحُلُم أعصره
شِعراً، ويَعَصِّرُنِي يأساً، وأحتضنُ!
تبارك الحزن..

يُغْوِي جمرني أهدأ

(١) شطر البيت هذا للإمام الشافعي.

إِذَا انْتَهَى بِالرُّمَادِ الْيَأْسُ وَالْحَزَنُ
مَاذَا مِنَ الشَّهَقَاتِ الْحُمُرِ قَدْ تَرَكْتَ
لِي الدُّرُوبُ، وَمَنْ حَلُّوا وَمَنْ طَعَنُوا؟
مَاذَا؟

أَلَيْسَ الشَّرَابُ الثَّرَى فِي حَذَقِي
وَمَا كَفَرْتُ..

تَرَدَّى الْكَفَرُ مِنْ جَبْهُنَا

تَسَاقَطُوا فِي الْبَرِيَّةِ الْمَسِيحِ وَأَتَشَحُّوا
بِالْكِبْرِيَاءِ، وَفِي تَمْزِيكِ ارْتِهِنُوا
لِنَقُضِ تَرَابَ الْقَبْرِ عَنْ شَفَقِي
لِلْهَامِدِينَ يَغْطِي الْأَرْضَ بِمَا يَحْمِلُ
قِيَامَةُ الْبَاصِقِينَ الدَّمُ قَدْ أَزْفَتْ
هَيَّا انْفُخِي..

بِيَدِنَا الصُّورُ يَا عَدَنَ

هَيَّا انْفُخِي..

مَا أَتَيْتُ الْأَرْضَ مِنْ عَدَمٍ
هَنَا.. بِعَيْنِي يَوْمًا أَبْصَرَ الزُّمُرُ
الْذَمَرُ نَحْنُ صَنَعْنَا أَبْجَدِيَّتَهُ
فِي كُلِّ وَارِفَةٍ مِنْهُ لَنَا قَنَرُ
لَا أَكْذِبُ الْفَلَكَ الدَّوَّارَ، كَاسِفَةُ

شَمْسِي، وَبَصْطِرِ عَان: الضَّوْءُ وَالذَّرْنُ
يَا حَافِرِي قَبْرِنَا.. وَاللَّيْلُ مُلْكُهُمْ
بَيْنَ الْمُحِيطَيْنِ نَعَشُ لَيْسَ يَنْدَفِئُ
أَمْشِي.. وَتَثَانِي

مَا جَدَفْتُ بِالْإِسْرَاءِ

لَا بُدَّ، لَا بُدَّ يَا صَنْعَاءُ مِنْ صَنْعَاءِ
صَنْعَاءُ.. يَا كَبِوَةَ الْأَيَّامِ
يَا حُلُوَّةَ الْقَيْمِ الْخُرَسَاءِ وَالْأَنْسَامِ
يَا دَمْعَةَ الضَّوْءِ فِي التَّارِيخِ وَالْأَرْحَامِ
«مَلِيحَةٌ.. عَاشِقَاهَا السُّلُّ وَالْجَرْبُ»^(١)
قَالَ ابْنُهَا..

صَفَّقْتُ لِلْكَلِمَةِ الْمَرْبُ
لَا تَغْضِبِي.. لَمْ يَكُنْ شَطُّ بِلَا أَنْوَاءِ
لَمْ يَخْفِ قَلْبُ بِلَا بَلَوَى وَلَا عَمَاءِ
وَمَا عَرَفْتُ بِلَاداً قَطُّ يَا صَنْعَاءُ
تَنْزَلْتُ جَنَّةَ خَضْرَاءِ
مِنَ السَّمَاءِ.. تَدَلَّتْ جَنَّةُ خَضْرَاءِ
وَلَمْ تَمُرْ بِهَا آهٌ وَلَا بَأْسَاءِ
«مَلِيحَةٌ.. عَاشِقَاهَا السُّلُّ وَالْجَرْبُ»

(١) الشطر من قصيدة للشاعر اليمني عبدالله البردوني.

أَجِبْهَا.. يَلْكَ أَرْضِي..

يُنْتَهِي الْعَطَبُ

يَوْمًا.. وَمِنْشَقُّ عَنْ ثَارَاتِهِ الْكَفَنُ
يَنْشَقُّ عَنْ لَحْدِهِ السَّوْوُودُ بِمَا عَدَنُ
تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا تَخْتَارُهُ السَّفَنُ

...

لَمْ أَعْرِفِ الْأَحْجِيَّاتِ الزُّرْقَ فِي قَلَمِي
اسْمُ الشَّقَاءِ الَّذِي أَقْتَاتُهُ الْوَطَنُ
أُرِيدُهَا بِمَوْضُوحِ الْخُبْرِ أُغْنِيَنِي
وَالْجُوعِ وَالْخَنْجَرِ الْمَفْرُوزِ فِي رِثْمِي
أُرِيدُهَا..

وَتَذُقُ الرِّيحَ نَافِذَتِي

تَلْفُنِي بِسَيَاطِ الشَّخَرِ

مَنْ كُلُّ فَجٍّ.. تَلْفُ الْعُمَرُ

مَنْ أَنْتِ؟ طِفْلٌ بِلَا مَأْوَى

صَوْتُ.. بِلَا جَدْوَى

وَعْدٌ.. وَلَا وَايَعْدُ

عَزْمٌ.. وَلَا سَاعِدُ

مَنْ أَنْتِ؟ تَضْرِبُ فِي بَيْدَاءٍ مِنْ أَزَلٍ

قَالُوا لَنَا.. مَاتَ فِيهَا الضَّرْعُ وَاللَّبَنُ

قالوا.. وأقسم حاديهـم ومطيريهـم
هـذي المـلـايـيـن.. لا رـوـح ولا بـدـن
مـائـت عـلى القـلـم الصـغـلـوك..
وانـطـلـقـت

بشائر الجـفـد.. غطى الساحة العـفـر
أنت الـيـتـيـم عـلى أطراف مائدة
شـم العـروبة فيها الفـر والـلـسـن
تـجـت في عـثـمات الزور أغنيـة
تقول: نحن هـنا

تصـر: نحن هـنا
تسقى وتطعم أغـلـالاً..

ونحن هـنا
تـجـت في عـثـمات الزور كل بيد
تمتد.. يـخـضـر في أحـلابها غـصـن
من أنت؟

يا رـمـم التـارـيـخ في وتـري
لـيـسـقـط غداً عن جـثـتي الكـفـر
لأبـلـعـثـك يا شـط الهوى رفقاً
تـعـرـفت ذمـه الأغـوار والثـن
لأحـمـلـن بـقايـمـا اللـحـم في قـدمـي

وَأَلْتَقِي بِأَبْنِكَ الْمَرْصُودَ بِأَيْمَنِ

عَفُو الْعُمُودِ..

وَعَفُو الظُّلِّ...

قَافِيَّةٌ

تَذُقُ صَدْرِي. يَذَاهَا الْقَهْرُ وَالْمِحْرُ

لَمْ أَعْرِفِ الْأُحْجِيَّاتِ السُّودَ يَا بَلَدِي

وَلَا تَأَلَّهَ فِي أَجْفَانِي الْوَسْرُ

مَا كُنْتُ رَمْزاً

دَعُونِي عَارِياً وَجَعِي

دُمُ الْقَتِيلِ بِأَغْلَى الرُّمُزِ يُمَثِّلُهُنَّ

الْخَنْجَرَانِ بِصَدْرِي^(١).

كَانَ نَزْفُهُمَا

عُمُرِي.. أَحِبُّ بِهِ طِفْلاً وَأَضْطَلِقُنَّ

الْخَنْجَرَانِ.. وَيَافَا مِثْلُ حَازِتِنَا

خَلْفَ السَّلَاطِيلِ.. لَا أَهْلٌ وَلَا سَكُنٌ

بَعِيدَةٌ.. عَقَبَاتُ الْحُلُمِ.. يَا وَطَنِي

صَحْرَاءُ يَلْهَثُ فِيهَا الْفِكْرُ وَالظُّلْمُنُ

(١) الإشارة إلى لواء الأسكندرون وفلسطين.

بعيدة.. أَتَفَرَّاهَا بِمَا تَرَكْتُ
لِي السُّنُونُ.. وَمَا أَهَيَّ لِي الزَّمَنُ
أُرْتَدُّ لِطِفْلًا..

أَذُقُ الصَّخْرَ مُتَطَلِّرًا

صَحْوَ الْبِنَابِيعِ..

يَكِي قِبْضَتِي الْوَهْنُ

إِنِّي أُصِرُّ عَلَى رُؤْيَا تُمَزُّقُنِي

كُلُّ الْقَرَاهِينِ فِي نِيرَانِهَا امْشَحُوا

عَفْوَ الْغِنَاءِ.. وَعَفْوَ الشُّعْرِ..

أَعَشُّهُ

هَذَا الْعِنَادَ..

مَعًا.. فِي النَّزْعِ نَفْقَرُنُ

الغالدون

في يوم الشهداء

ناداهمُ البرقُ.. فاجتازوه وأنهمروا
عند الشهيد.. تلاقى الله والبشرُ
ناداهمُ الموتُ.. فاختاروه أغنيةً
خضراء.. ما متها عُودٌ ولا وترُ
تَقْدَسُ السَّطَرُ المجدولُ صاعقةً
وزُنْبَقاً.. يا شموخ الأرض... يا مطرُ
لا تُفْلِتني قَبْضَةَ التاريخ عن غدنا
أطفالك السُّنُرُ يا صُخْرَاءُ قد كَبُرُوا
رَيْشٌ على صَهَوَاتِ الرِّيحِ.. فَجَرَهَا
بالمُتَجِزَاتِ.. ورَيْشٌ رَاخٌ يَنْتَظِرُ

...

تَشْرِيبٌ.. يا مَوْعِدَ الفُرْسَانِ.. يا قَدْرًا
مَجْشُو عَلَى قَدَمِي مِيلَادِهِ الْقَدْرُ
أَطْلَقْنَهَا مِنْ جَحِيمِ الْيَأْسِ قَافِلَةً
مِنَ الْعَطَاشِ.. بِقَنْدِيلِ الصُّحَى كَفَرُوا

بكرمة الضوء.. كانت كُلُّ فارقةٍ
 على حزيران، يا تشرين، تنتحرُ
 أطلعتنها.. فسمواتي على بردى
 سكرى.. تعانق فيها الحبُّ والخطرُ
 تعانق الشرُّ والتاريخُ ملخمةً
 وكثيرُ الغضبِ والنبوغِ والخبرِ
 تعانق الفارِسُ المَقْدود من أَلَمِ
 والثُلُ.. فالعاشقان الثُلُ والشرُّ
 وأينعت بالدم الجولانُ.. وانضفرت
 سيناء.. يا زوعة الإكليزي ينضفرُ
 سرُّ الصحارى.. وسلها كلما ييسث
 من أين ينبُع فيها الظلُّ والشجرُ
 من أين؟ قالوا: كروم الصيف قد غفمت
 من أين.. كلُّ نبيذِ المجدِ يُغتصِرُ؟

الخالدون.. على أهدائنا نَبْتُوا
 عرائش الزُفُو.. في أخداقنا سَهِروا
 ننام أطفالنا... تضحو على قِصصِ
 وينسجون الرؤى منها إذا كبروا

وَيَسْأَلُونَ، فَتُغْطِيهِمْ، وَتَسْحَرُهُمْ
 أَبَاؤُهُمْ فَوْقَ مَا تُغْطِي وَمَا سُجِرُوا
 صَارَ الصَّغِيرُ يُمْدُ الْيَوْمِ قَامَتْهُ
 أَبَوُهُ بِالْغَيْمَةِ الْحَمْرَاءِ يَغْتَمِرُ
 يُلْقِنُ الْمَعْنِي دَرْسًا، يُعَلِّمُهُ
 كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى الْإِنْسَانِ يُخْتَصِرُ
 وَكَيْفَ تَهْوِي «أَسَاطِيرُهُ» هِيَائِهَا
 فِي الْحَيِّ.. بَيْنَ يَدَيِ أَطْفَالِنَا أَكْرُ
 وَكَيْفَ يَمْزِجُ حَقًّا.. ظَنًّا سَارِقَهُ
 أَنَّ الشَّرَائِعَ بِالسُّكَّانِ تَنْدَثِرُ

• • •

تَشْرِيفُ أَمْطَارِكَ الْخُضْرُ النَّيِّ كَتَبْتُ
 أَعْمَارَنَا.. لَمْ يَكُنْ بِالْأَمْسِ لِي عُمرُ
 دَمُ الشَّهِيدِ أَعَادَ اللَّوْنَ، لَوْنُ دَمِي
 وَازْتَدَّ يَلْوُءُ بِجُفُونِي الضُّوءَ وَالْبَصْرُ
 فِي سَاعَتَيْنِ.. خُلِقْنَا نَحْنُ بَشَرًا
 قَبْلَ الشَّهَادَةِ.. لَا وَجْهَ وَلَا صَوْرَ
 فِي سَاعَتَيْنِ.. تَعَالَتْ كِبَرِيَاؤُهُمَا
 كَيْفَ انْتَهَى فِي عَصْرِ الْغُرْبَةِ الشَّفَرُ

دُمُ الشَّبَابِ.. أَفِيئِي يَا بِيادِرنا
 عَلَى الْغَطَاءِ.. وَجُنُ الزَّرْعِ وَالشَّمْرِ
 دُمُ الرُّجُولَةِ يَا تَشْرِين.. قِيلَ لَنَا:
 لَمْ يُبْقَ مِنْ خَالِدِ سَيْفٍ وَلَا أَثَرٍ
 لَمْ يُبْقَ مِنْ ضَرْبَةِ عِذَاءٍ قَاصِمَةٍ
 فِي ذِي الْفَقَارِ.. وَلَا فِي نَبْهَةِ عُمُرٍ
 افْتَحْ جَنَاحَيْكَ يَا تَشْرِين.. مُدْهُمَا
 عَلَى الرِّيحِ.. وَخَلَّ الْأَرْضَ تَسْتَعْرِ
 وَدُمِرَ «الْكَذِبَةُ الصَّفْرَاءُ» دُمِّرْنَا
 هَذَا الْقِنَاعُ.. فَمَا يُبْقِي وَلَا يَذُرُ
 قُلْ لِلْهَزِيمَةِ.. قُلْ لِلَّيْلِ: مَوْعِدُنَا
 عَلَى التَّلَالِ.. وَتَذَرِي مِنْ سَيْنَحِدُرٍ
 قُلْ لِلْحَضَارَاتِ.. لَنْ تُنْجِي هَزُوبَةً
 سُودَاءَ، تَطْفِي فَتَسْتَغْلِي فَتَكْثُرُ
 قُلْ لِلْفَزَاءِ: كَأَسْلَافٍ لَكُمْ.. خَبِرُ
 أَنْتُمْ عَلَى أَرْضِنَا.. إِنْ نَنْقُضُ.. خَبِرُ
 الْحَنْدَقَانِ.. وَصَلْنَا أُنْسٍ غَارَهُمَا
 وَجُدُدَتْ فِي الْهَتَافِ الْأَسْمَرِ السُّورُ
 الْحَنْدَقَانِ.. مَشَتْ تَطْلَوَانُ فِي بَرْدَى
 وَاسْتُفِرَّتْ فَوْقَ سَرَجٍ وَاحِدٍ مُضِرُّ

لم نُنطَفِئْ.. وكأُسلَافٍ لَكم.. غَبرُ
أنتم على رملنا.. إِنْ ننتَفِضُ.. غَبرُ

•••

يا شامُ.. مُدِّي بِساطَ الحُبِّ.. واحِدَةً
كَأشَّ العروبة.. وَلَيُخَضُّوضِرِ الشَّمْرُ
اسقي العطاشَ.. حَدِيثُ المَجدِ رَائعةٌ
مَنْ المَلاحِمِ يَفْتَنِي دُونَهَا الشَّهْرُ
شبابنا في مَتونِ الرِّيحِ أَشْرَعَةٌ
وفي الثَّلَالي.. دَمٌ بِالنَّصْرِ يَأْتِيزُ
مُدِّي بِساطَ الهوى. ما زالَ في دَمِنا
مَنْ بِاسْمِينِكَ كُنْزٌ لِلهوى عَطُرُ
وقفت في عَتَابِ الخُلْدِ شامِخَةً
بِالأنبياء تَغَطِّي السَّرْجَ والزُّهْرُ
يَقَاتِلُ النَّسْرُ.. يَنْسَى غَيْرَ مَلْعَبِهِ
يَنْسَى اسْمَهُ.. في السَّمَاوَاتِ اسْمُهُ الظَّلْمُ
يوشوش المَهْرة السَّمرَاء مَبْتَسِماً
في نَفْلك المَوْتُ.. أَدرِي كَيْفَ أَنتَصِرُ
أمانَةُ البعثِ والتَّاريخِ في عُنُقِي
فاشْرِقْ في دَمِي يا شَمْسُ، يا قَمَرُ

•••

تشرين.. لم ينته الشوط الذي بدأت
خيولك البيض في الميدان من تقروا
في خندق النار ما زلنا.. وتعرفنا
خنادق النار عن قرب.. وتذكر
الراكبون غرور الأمس.. مضرعهم
تحت الغرور.. فشق الدرب يا سحر
تطوان في بردى.. بغداد في بردى
صنعاء في بردى.. والبيت والحجر
قصيدة نحن ملء الدهر صامتة
ويشكر الدهر كبراً حين تنفجر
قصيدة نحن.. يملئها ويبدعها
دُم الشهيد.. وجل العود والوتر
لأننا.. وجذور الشمس في يدنا
نقاتل الخلق الباغي... مستصير

كانون الأول ١٩٧٣

يا ياسمين دمشق

بعد غارة صهيونية على دمشق

تَسْقِي مِنَ الْأَزَلِ السَّحِيقِ وَتَشْكُرُ
مَاذَا أَقُولُ؟ وَأَيُّ خَيْرِكَ أَعْصِرُ؟
يا ياسمينَ دِمَشْقَ.. مُدُّ بَارِقِي
مَطَرًا.. بِمَلَحْمَةِ الرِّسَالَةِ يَهْدِي
يا ياسمينَ دِمَشْقَ.. عَطْرُكَ أَبْيَضُ
وَتَعَطَّرَتْ أَفْقَى فِعْطَرِكَ أَحْمَرُ
وَعُضِبَتْ. فَالْوَطَنُ الْكَبِيرُ عِبَاءُ
حَطَّتْ عَلَى بَرْدَى. وَتَسْرُ أَسْمَرُ
هَسَمَتْهَا أُنْطُورَةٌ.. وَذَرَوَتْهَا
كُلُّ الْغُرَاةِ عَلَى الْعَبِيرِ تَكْشُرُوا
كُلُّ الْغُرَاةِ.. وَظَلُّ قِنْدِيلُ الْهَوَى
أَبْدَأَ عَلَى الْعَطْرِ الْمَدْلَلِ يَشْهَرُ
كُلُّ الْغُرَاةِ.. وَلَمْ تَجِفْ مَنَارَةٌ
يا ياسمينَ.. وَلَا تَزْحَرْحِ مِنْبَرُ
تَمْتَدُّ يَا لَوْنِ الْعَبِيرِ جَهْنَمًا
فَوْقَ الرَّمَالِ.. جَهْنَمًا تَسْقَرُ

وَتَقْبَهُ الصَّحْرَاءُ تَحْتَ نَعَالِهَا
 سَوْدَاءُ مِنْ قَصَصِ الْجَرِيْمَةِ تُقْبِرُ
 يَا بِاسْمَيْنِ دِمَشَقُ.. طَوَّقَ وَاحِدٌ
 وَطَلَّ السَّعْرُوبَةُ بِالْأَرِيحِ مُسَوِّرُ
 بِالنَّارِ، بِالْقَضْبِ الْمُقَدَّسِ، بِالرَّوْىِ
 بِالْأَنْبِيَاءِ مِنَ الثَّرَابِ تَفْجَرُوا
 مِنْ كُلِّ زَنْبَقَةٍ أَطْلُ مُقَاتِلُ
 مِنْ كُلِّ سَوْسَنَةٍ تَحْدَرُ خَنْجَرُ
 وَلِدُوا عَلَى بَرْدَى مُرُوجِ غِمَامَةٍ
 بِالصَّاعِقَاتِ، وَبِالطُّفُولَةِ تُزْهِرُ
 وَلِدُوا عَلَى سَيْنَاءٍ مِثْلَ قَصِيدَةٍ
 فِي بَالٍ مَعْجَزَةِ الرَّوْىِ لَا تَخْطُرُ

• • •

يَا بِاسْمَيْنِ دِمَشَقُ.. بِمِفْتَاحِ الضُّحَى
 بِيَدِ الْعَبِيرِ حَضَارَةٌ لَا تُقْبَهُرُ
 يَا قَامَةَ الْقَضْبِ الَّذِي لَا يَنْحَنِي
 مِيلَاذُكَ الْعَرَبِيِّ أَخْضَرُ أَخْضَرُ
 يَا بِاسْمَيْنِ دِمَشَقُ.. وَحْدَةُ أُمَةٍ
 بِدَمِ الثُّسُورِ، دَمِ الثُّسُورِ تُسْطَلُّ

٩ تشرين الأول ١٩٧٣

زهرة

زَهْرَةٌ مِنَ الشَّفَقِ
بَرُوعَتُ عَلَى الْأُفُقِ
حُلُوءٌ.. كَهَيْئَةِ
فِي ضَفَائِرِ الْحَبَقِ
غَرَّدَتْ عَلَى شَفَتِي
مَوْجَةٌ مِنَ الْعَبَقِ
أُزْرَقَ الطُّرْبِقُ بِهَا
جَنَّةٌ مِنَ الْأَلْقِ
إِنْ يَمْسُهَا نَسَمٌ
بِالْصَفَاءِ يَخْشَرِقِ
أَلْفُ مَوْيِمٍ عَطِرِ
فِي الْجَبِينِ.. لَمْ يُفِقِ
يَوْمِيءُ الشَّدَا خَجَلًا
بِالْمُنْضَرِ الْعَدِيقِ
اضْفَرِ النَجُومَ لَهَا..
اسْفَهَا سَنَا الْحَدَقِ
بِا لَرُوعَتِيهِ ضَحَى

ما يزالُ في العَسَقِ
يُشَكِّرُ الدُرُوبَ غداً
بالربيع.. والوَرَقِ

١٩٦٤

الجسر والمقهى الهرم

مهداة الى الصديق وص.ا.، ذكرى زاويته...
في المقهى الهرم.. بدمشق.

سَقِيَا لِلْأَمْسِ.. أَخَا الْجَامِ
وَسَلَامٌ.. يَا لَيْلَ الشَّامِ
إِلْهَامٌ.. ذَابَ بِإِلْهَامِ
وَكُؤُوسٌ تَغْبِقُ بِالسَّمَرِ
وَشَبَابٌ لِلدُّنْيَا ظَامِي!

...

بَحْنَاهَا الْجِزْفُ أَنْشُدُهُ
ذَكَرِي مِنْ حَوْلِكَ مَقْدُودُهُ
وَأَكَاذُ أَرَاهَا.. مَسْرُودُهُ
بَصْدِي.. كَالْمُرْنِ الْمَنْهَمِرِ
فِي أَرْضٍ عَطَشِي، مَفْزُودُهُ

...

نَحْذِهِ مِنْ أَعْمَاقِ الْأَمْسِ
لِحْنًا تَنْسَابُ بِهِ نَفْسِي

وَتَصَارِعُ أَغْنِيَتِي جِسِي
فَإِذَا أَنَا أَلْهِيَةُ الْقَدَرِ
وَإِذَا قِيَارِي فِي بَأْسِ!

• • •

أُنَقِّ بِتَكْشُفٍ عَنْ أُفْتِي
فِي رُوحِ ظِلْمَانٍ، قَلْبِي
وَيُهَيِّبُ الشَّعْرُ: أَنْ أُنْطَلِقَ
فَوْقَ الْإِشْفَاقِ، عَلَى الْحَذَرِ
فَإِذَا بَبْيَانِي فِي زَمَنِي

• • •

الْلَفْظَةُ.. يَا لِلْمَأْسَاةِ!
لَوْ كَانَتْ تَحْبِلُ آهَاتِي!
وَأَعَاصِيرِي، وَجِرَاحَاتِي
وَحِكَايَةُ «مَطْلَمَجِنَا» الْغَيْرِ
وَشَوَاطِيءُ قَلْبِكَ بِالذَّاتِ

• • •

عُذْ بِي لِحَقِيلِكَ فِي الشَّامِ
«نَفْسُ التَّنْبَاكِ».. وَأَحْلَامِي
وَشُرُودٌ.. غَمَزَ الْإِيَامِ

وخواطُرُ «تغيير» البشرِ
ومُخطَطُ إنسانٍ سامي

...

للعجسِرِ، «ومقهاه» الهرم
طيفٌ في الخاطر لم يَرمِ
صُورُ تنثالٍ على قلبي
شعراً.. لو مرَّ على وترٍ..
لَتَفَجَّرَ نبعٌ من نَعَم!

...

إِنْ عُجَّتْ على المقهى..
فَقِفْ!
وتجاءَ الساقية.. انعطِفْ!
كرسيَّ القشِّ على طَرَفِ
وخيوطٌ من ضوء القمرِ
وسلامُ الزهدِ على الترفِّ!

...

اجلس.. تسبِّقُك «الترجيلة»
وأبو عدنان^(١).. فتى حيلة

(١) صاحب المقهى.

ولقد تُعِيبِكَ «التشعيلة»
وترنُّ «نارك» فاصطبرِ
فلكل عسير.. تذليلاً!
ومع «النَّفْثَاتِ» السَّوَاةِ
يجلو المتأمل أفكاره
وبصافح قلب أسرارهِ
فاذا هو في لُج الفِكْرِ
نَغْم يتلَّسُّ أوتارهُ

• • •

اجلس.. لا تشك الضوضاء
من راح هناك؟ ومن جاء
أتحس برأسك.. إعياء؟
جدُّ «تباكك» ينحسر
وتأمل — ثم — الأحياء

• • •

الشارعُ قُربك والناسُ
حسَّ تتلوهُ أخسارُ
مُتَعِّ للعين.. وإيناسُ
صور تجلو شبح الضجر
الشارع قُربك.. والناسُ!

حسناً.. ومنديلٌ شَفُ
وفتقٍ بالفاقة مُلْتَفُ
وخطى تمضي، وخطى تقفو
وصفاء الأفق مدى البصرِ
ونداء الحب.. ألا تهفوا!

• • •

في الغيم السارح.. في القَلَكِ،
في الثور الساطع.. في الحَلَكِ،
تغزوك بجانحتي مَلَكِ،
فيموج وجودك بالذِّكرِ
وتغنم: هذا الكونُ لك!

• • •

سمراؤك.. والغزلُ الصَّيْقُ
من ثغر الله به ألق؟
والليل.. وكأس تصطفق
حدثني عن باقي الخبر..
في «نارك» لم يرخ رمقُ

• • •

الحب.. أتعرف ما الحُرُّ؟

ما الرملُ المحرقُ.. ما القفر؟
وافاء على اليبس القطرُ
فأحبلَ مروجاً من زهر
بترقرق في دمها العطر..

• • •

الحب.. وأنفاس الغزل
آمنت بملحمة الأزل
بوجود نذ عن المثل
بهيد تتعثر بالحجر
فإذا هو يخلج بالأمل!

• • •

أترؤث «منضدة الخشب»
والدفتر.. من جرح العرب؟
هيا.. واصدغ ليل الأدب
ببراعم إنداع عطر
برسائل.. تزفح باللهب!
أمن المتنبي والمجد؟
بهتت لنبرته الخلد؟
وطلول أنطقها سعد
وتراث ليس بمندثر

ما رفَّ لِمَكْرُمَةٍ يَنْدُ

والمغرب.. مغربنا الثائر!
هل لجيت الصوت الهادِز؟
وسقيت الإعصار الظافر
وحشدت الثورة في أثر
يصلُ الماضي بسنا الحاضر!

اكتب.. اكتب.. إن الجيلاً
قد أوشك يَفرَّقُ تضليلاً
وحماقات.. وأباطيلاً
من مرتزقي، أو مشجِرِ
غُرَبان.. تحتلُّ الغيلاً

لا تبرِّخ «مقهانا» الهَرَمَا!
أهوى فيه حتى السأما
أهواه.. ألم يَكْ مزدحماً؟
بالشُرْمَقِي مثلي والضَّجِرِ
وبمن حرموا.. إلا الأَلَمَا

لي في جنبه أشباه
من شعب أحيا بلواه
وأجس بصدري شكواه
وتمزقة بيد القدر
لا يذغ.. لهذا أهواه

• • •

جذذ فيه ناز «النفس»
وبقلب المأساة انغمس
إن لم نك نحن منا القبس
في هذا الليل المعتكر
والهفا.. للركب التيس

الفهرس

٣	المقدمة
٧	سليمان العيسى (غناء الذكريات)
١٨	ثقافة الشاعر
٢٢	قضية العروبة
٤٨	الشعر بمفهوم سليمان العيسى
٥٩	شكل القصيدة
٦١	التراث والمعاصرة، أو القديم والجديد
٦٤	الخطابة في الشعر
٦٦	مولد القصيدة
٦٨	عندما يغني سليمان العيسى للأطفال
٧٣	فلسطين
٧٤	النجار
٧٥	الرسام الصغير
٨٠	قيل في سليمان العيسى
٨٠	طراد الكبيسي
٨٢	أدونيس
٨٣	أحمد عبد المعطي حجازي
٨٥	جعفر ماجد

٨٦	سليمان العيسى مجيئاً
٩١	مختارات
٩١	أقاتل باسمك العريان
٩٨	يا موكب النور
١٠٥	أنشودة السفر
١٠٨	غداً خولة
١١٠	القرية ومنى
١١٦	أمشي وتناهى
١٢٣	الخالدون
١٢٩	يا باسمين دمشق
١٣١	زهرة
١٣٣	الجسر والمقهى الهرم
١٤١	الفهرس

